تراث

من زمن التوهج

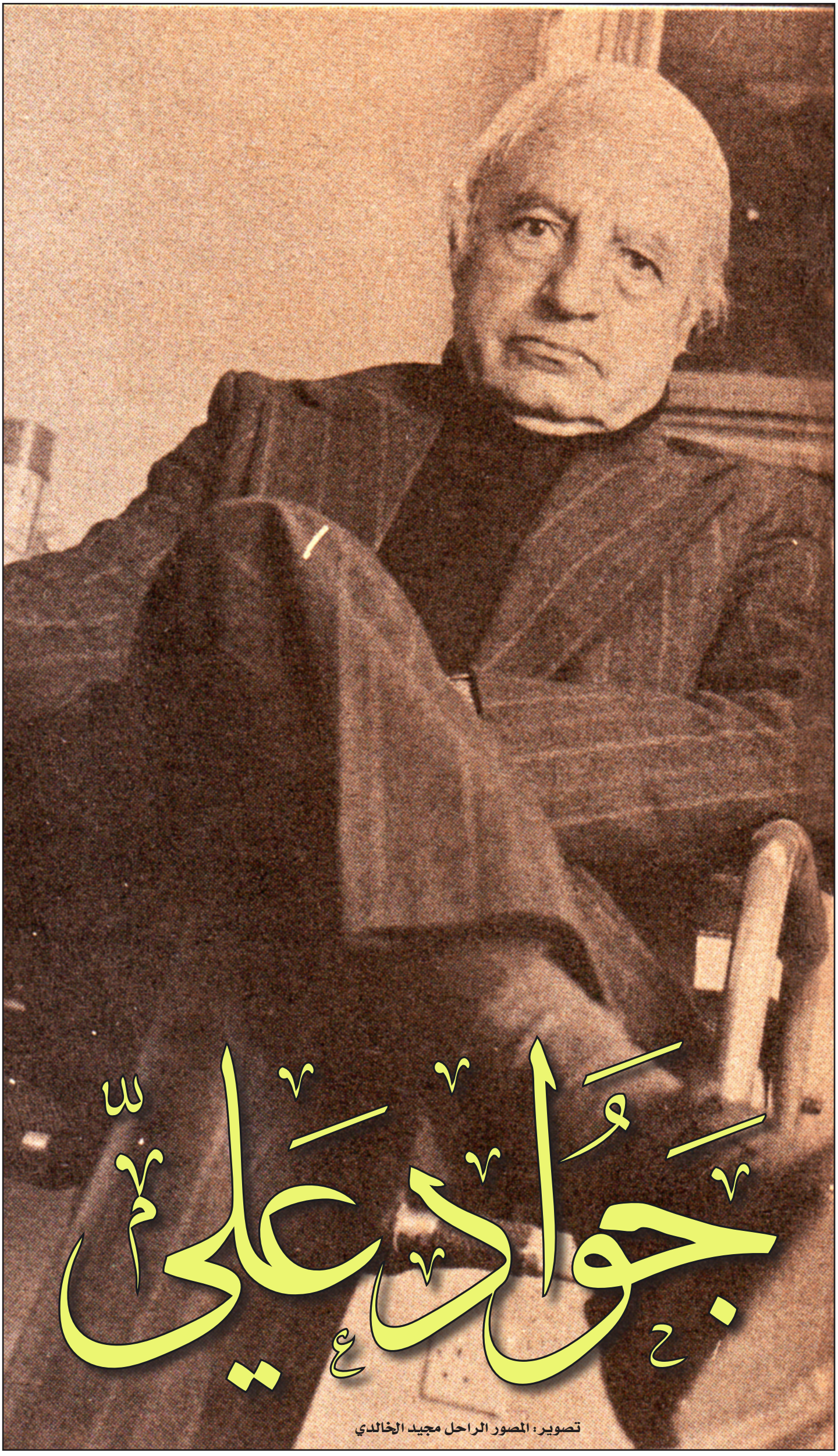

جواد علي

تصوير: المصور الراحل مجيد الخالدي

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (1698) السنة السابعة

الخميس (14) كانون الثاني 2010

الدكتور جواد علي . . ذاكرة لتاريخ العرب

4

قراءة في منهج د . جواد علي

14

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

المفصّل في تاريخ العرب . .وتحليل التاريخ

هذا مؤلف يلخص جهد حياة علمية، قضاها صاحبها في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام. ويتمثل تركيزه على هذا التاريخ في أن "المفصل" هو طبعة ثانية لكتابه "تاريخ العرب قبل الإسلام"، ولكنه في الواقع ـ كما يقول المؤلف ـ كتاب جديد يختلف عن كتابه السابق في إنشائه وتبويبه .
وفي كثير من مادته أيضاً، "فقد ضمنه مادة جديدة ... تهيأت لي من قراءتي لكتابات جاهلية عثر عليها بعد نشر ما نشرت منه، ومن صور كتابات أو ترجمات او نصوصها لم تكن قد نشرت من قبل، ومن مراجعاتي لموارد نادرة لم يسبق .. الوقوف عليها، ومن كتب ظهرت حديثاً . فرأيت إضافتها كلها .." وقد فهمت إن استمر بمتابعة ما يصدر مماله صلة بالعرب قبل الإسلام.

د.عبد العزيز الدوري

"والمفصل" مؤلف شامل جامع لتاريخ العرب قبل الإسلام، أراد به مؤلفه" تقصي كل ما يرد من الموضوعات في الكتابات وفي الموارد الأخرى وتسجيله وتدوينه، ليقدم للقارئ أشمل بحث واجمع مادة في موضوع يطلبه "، ويبرر نهجه هذا قائلاً،" لأن غايتي من هذا الكتاب أن يكون (موسوعة) في الجاهلية والجاهليين، لا أدع شيئاً عنها أو عنهم ألا ذكر في محله، فكتابي هذا للمتخصصين والباحثين .."، وهذا هدف طموح وضخم بالنسبة لباحث واحد، ولكنه وفق في تقديم مادة واسعة وغنية .

وأوضح المؤلف نهجه في الكتابة، فهو يرى أن التاريخ تحليل ووصف لما وقع ويقع، وهذا يعني ان على المؤرخ أن يجهد نفسه كل الإجهاد للإحاطة به والتفتيش عن كل ما ورد عنه، ومناقشة ذلك مناقشة تمحيص ونقد عميقين، ثم تدوين ما يتوصل إليه بجده واجتهاده تدويناً صادقاً، متجنباً إصدار الأحكام والآراء الشخصية، القاطعة على قدر الاستطاعة، أن منهجه يتلخص في الإحاطة بالمواد المتصلة بالموضوع ومناقشتها وتمحيصها ونقدها، ثم ليكتب ما ينتهي إليه بأمانة، ولكنه يتحرج من إصدار الاحكام، ولا يريد إن ينصب نفسه حاكماً مهمته إصدار إحكام قاطعة، كما يقول بل اكتفى بوصف الحادث وتحليله كما يبدو لي".

ومن قراءة الكتاب يتبين اجتهاد المؤلف في محاولة الوصول إلى كل ما يتصل بتاريخ العرب قبل الإسلام، حسب مخططه من مصادر أولية وكتابات ونقوش جاهلية ودراسات حديثة، وحرص على تقديم ما توفر له من مواد، بعضها قصصي أو إخباري، وحرص على ان يقدم خلاصة أو نتائج الأبحاث والدراسات الحديثة للمستشرقين و الاثاريين والرحالة الغربيين، وهذا طبيعي فاعمالهم هي الغالبة كماً ونوعاً وهي الرائدة، وما كتب في العربية في حينه يتمثل في كتاب محمود شكري الالوسي . بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب، وجرجي زيدان. العرب قبل الإسلام وفي محاضرات بعض الأساتذة في الجامعات، مقدمة للتاريخ الإسلامي . وهو بعد ذلك يوثق ما يكتب في الغالب، إذ يشير إلى مصدر / مرجع كل ما يكتب بعناية واضحة . وهذا عمل ليس باليسير اذا تذكرنا إن جل الدراسات الحديثة وأعمقها جاءت بلغات غربية عدة.

إن شعور المؤلف بأهمية التعرف إلى موارد (مصادر) التاريخ الجاهلي، جعله يخصص فصلاً خاصا للتعريف بها. يتناول النقوش والكتابات، والتوراة والتلمود، والكتب الكلاسيكية، والموارد النصرانية، والموارد العربية الإسلامية، والمؤرخين المسلمين. ولعله من رواد هذ المجال في العربية، بل ان اهتمامه بتحليل المصادر (تاريخ التاريخ)، أوصله إلى كتابة دراسة (في مقالات) في موارد تاريخ الطبري في صدر الإسلام تناول فيه أهم الإخباريين الذين رجع إليهم الطبري في كتابته عن تلك الفترة ولا تزال مفيدة للباحثين.

أعطى جواد علي رأيه في الكثير مما تناوله في كتابه، لكن عنايته بالإحاطة بما يتوفر من معلومات كانت هي الأساس. أن تحرجه من إصدار أحكام قاطعة قد يكون له صلة بتواضعه، ولعل الأبعد أثراً عدم توفر المعلومات الموثقة إلا في القليل، وجرأة البعض في توسعهم في إصدار الاحكام المبنية على التخمين والظن" والواقع إن آراءه مبثوثة في الكتاب منذ البداية، ولكن بحذر واعتدال.

ففي دراسته لفظة (العرب) التي جمع فيها بالأساس، بين الدراسات الحديثة والعودة للنقوش ومناقشتها انتهى إلى أنها تعني "الإعراب" وأن المعنى الشامل للكلمة جاء مع الإسلام، من دون إن يوضح كيف حصل ذلك، ويخلص إلى إن لفظة (ع ر ب)، (عرب) هي بمعنى المتبدي في كل اللغات السامية ولم تكن تفهم إلا بهذا المعنى في اقدم النصوص التاريخية التي وصلت الينا، ثم يشير الى لغات العرب قبل الإسلام مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وأمثالها، ويتساءل عنها وعن أصحابها فيجيب أنها لغات عربية وأهلها عرب بل يذهب إلى إن اللغة التي نزل بها القرآن لم تكن إلا واحدة من تلك اللغات، ثم يتابع ليبين أنها لهجات عربية، ثم يستطرد ليبين أن " هذا ينطبق على النبط، وعلى من كان على شاكلتهم، وان عدهم علماء النسب والتاريخ واللغة والاخبار من غير العرب ولكنهم مثل ثمود والصفويين عرب .

ويفضي الحديث عن اللغة إلى أصحابها (العرب) فيبين المؤلف انه سترد في بحثه أسماء قبائل عربية كثيرة لا عهد للإسلاميين بها ولا علم لهم عنهم ذكروا في التوارة وفي كتب اليهود الأخرى، وفي الموارد اللاتينية واليونانية والكتابات الجاهلية. وان جاز لأحد الشك في بعض القبائل المذكورة في كتب اليهود أو في مؤلفات الكلاسيكين على اعتبار أنها أخطأت في إدخالها في جماعة العرب فإن هذا الجواز يسقط حتماً بالنسبة للقبائل المذكورة في الكتابات الجاهلية، وبالنسبة للقبائل التي دونت تلك الكتابات فهي كتابات عربية وان اختلفت عربيتهم عن عربيتنا وباينت لغتهم لغتنا، لأنها لغة قوم عاشوا في بلاد العرب ونبتوا فيها، وقد كان لسانهم هذا اللسان العربي المكتوب. وهكذا وسع إطار العرب عن المألوف، ووضع مفهومه للعرب فربطه بالموطن واللغة.

هذا الاجتهاد دفعه إلى تحديد إطار أوسع للعرب قبل الإسلام، وجعل ذلك إطاره في المفصل"، وعبر عن ذلك قائلاً: "فسبيلنا في هذا الكتاب إذن هو البحث في كل العرب، العرب الذين تعارف العلماء الإسلاميون على اعتبارهم عرباً فمنحوهم شهادة العروبة بحسب طريقتهم في تقسيمهم إلى طبقات، وفي وضعهم في أشجار نسب ومخططات، أما العرب المجهولون الذين لم يمنحوا هذه الشهادة .. نص على أخراجهم ولم يكن لهم علم حتى بأسمائهم، سنتحدث عن هؤلاء جميعاً على اعتبار أنهم عرب جهلهم العرب لانهم بادوا قبل الإسلام أو لأنهم عاشوا في بقاع معزولة نائية فلم يصل خبرهم إلى الإسلاميين، " فلما شرع المسلمون في التدوين لم يعرفوا عنهم شيئاً فأهملوا ونسوا مع كثير غيرهم من المنسيين".

يبدو أن جواد علي وضع خطة للكتابة اذ تتعذر الكتابة في موضوع واسع كما قدمه من دون خطة، كما انه يتعذر تلافي بعض التكرار، وان كان خفيفاً، في هذا المجال، ولا أريد التحدث عن الخطة ونكتفي ببعض الملاحظات .

لقد وضع المؤلف مقدمة قصيرة رسم فيها منهجه في الكتابة بإيجاز، كما مر، ثم حاول تحديد مفهوم العرب . لديه أو كما لاحظ من مصادره، ولاسيما انه تجاوز المألوف في ذلك فبين أنها تعني الإعراب وقد رجع في ذلك إلى النقوش والى الدراسات الحديثة، وذهب إلى إن المعنى الشامل لكلمة (عرب) جاء مع الإسلام بدءا بالقرآن الكريم. والدراسة التاريخية تظهر إن المعنى الشامل للكلمة استقر بعد تطور في فترة صدر الإسلام على أساس اللغة، وذلك بتأثير الإسلام . ثم تناول مصادر التاريخ الجاهلي، وهذه مسألة تستحق التنويه بالنسبة للتاريخ الجاهلي خاصة، فهي أغناء للبحث في اللغة العربية وهي مهمة للباحثين. والإفادة منها، مع شيء من النظرة النقدية، لازمة للإحاطة بالمعلومات وللدقة في البحث. وهو حين يدعو للإفادة مما ورد في التوارة والتلمود، يشكك في بعض المعلومات لان هذه ليست كتب تاريخ.

وينوه المؤلف بالموارد العربية الإسلامية بالرجوع إلى القرآن الكريم والحديث، ويشير إلى كتب التفسير

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

لتوضيح بعض الجوانب الجاهلية. وهو يرى في الشعر الجاهلي مورداً له أهمية للاطلاع على أحوال الجاهلية، ويذكر قول عكرمة ما سمعت ابن عباس أنه مافسر آية من كتاب الله . عز وجل . ألا نزع فيها بيتاً من الشعر، وكان يقول : أذا أعياكم تفسير آية من كتاب الله فاطلبوه في الشعر. ويستشهد بقول ابن عباس في الشعر، فإنه ديوان العرب به حفظت الأنساب وعرفت المآثر ومنه تعلمت اللغة. ويقتبس قول الجمحي فيه" وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم ومنتهى حكمتهم، به يأخذون واليه يصيرون : وتوسع في أهمية الشعر الجاهلي بالنسبة للجاهلية.

ونوه بما في كتب الأدب (الأولى) من مادة عن الجاهلية تفوق كثيراً ما جاء في كتب التاريخ" في الوفرة وفي الصفاء" مثل ما نذكره عن ملوك الحيرة وملوك كنده واخبار القبائل. وهو يرى ان كتب المؤرخين المسلمين ضعيفة جدا في تاريخ العرب قبل الإسلام ومادتها عن الجاهلية هزيلة وقليلة الا في حدود القرن السادس الميلادي وربما القرن الخامس. وينفي وجود سجلات لعرب الشمال ليناقش رواية ابن الكلبي بوجود مدونات في كنائس الحيرة زمن المناذرة ويشكك فيها، ولكنه لا ينكر في النهاية وجود مدونات .

وينتهي إلى إن كتب الأدب فيها مادة تاريخية اغنى بكثير من كتب التاريخ، ويدعو إلى اخذ ذلك في الاعتبار في البحث، كما يدعو إلى مراجعة الموارد الاخرى من كتب التفسير والحديث والفقه لاستخراج ما فيها من مواد عن الجاهلية.

وهو، بعد، يستغرب من المستشرقين الذين عرفوا . برأيه . بجدهم وبحرصهم على الإحاطة بالمعلومات إن يهملوا مع ذلك شأن الموارد المذكورة ولم يأخذوا منها الا القليل، ولو " راجعوها لكان ما جاؤا به عن الجاهلية إضعاف اضعاف ما جاؤا به وكتبوه ولكانت بحوثهم ادق وأعمق مما هي عليه .

يلاحظ أن المؤلف بدأ بعض الاوليات او المقدمات : اولا تحديد معنى لفظه (العرب) ليحدد الاطار البشري العام. وبهذا المفهوم قدمه على الحديث عن مصادر التاريخ الجاهلي عربية واجنبية اضافة الى النقوش والكتابات .

ثم تناول جغرافية الجزيرة طبيعية وبشرية. وهي ناحية مهمة لفهم التاريخ وبخاصة في المراحل المبكرة منه. وتناول التاريخ السياسي في نحو خمس الكتاب، وقد يقال إن ذلك يتصل بقلة المواد المتوافرة او أنه يرجع لتحديد مفهوم التاريخ السياسي. ويلاحظ ان المؤلف توسع في الشعر لدوره في الحياة العامة برغم ان بعض اموره بقيت غامضة، مثل حركة الشعر قبل امرئ القيس، ومثل طبيعة الشعر لدى عرب الجنوب، وخاصة بعد ظهور ما يدل على وجوده لديهم قبل الاسلام.

لقد تحدثت بإيجاز عن المؤلف ونهجه، ولا يتسع المجال للحديث عن كتابه (المفصل) واكتفي بملاحظات سريعة عن الجغرافية التاريخية لجزيرة العرب.

تأثر تاريخ الجزيرة العربية بعاملين رئيسين : المناخ والأوضاع الطبيعية من جهة والموقع الجغرافي على طرق التجارة الدولية بين الشرق الأقصى وعالم البحر الأبيض المتوسط. يرى العامل الأول في الصراع التاريخي بين أهل البوادي و سكان الأراضي الزراعية (الحضر)، او في الضغط الدائم للبدو على الزراع في السهول.

إن أكثر الجزيرة العربية صحارى وبوادٍ، وذلك نتيجة قلة المطر، وهو في أكثر ارجائها لا يكاد يبلغ المئة ملم سنوياً .

يسقط المطر في الجزيرة العربية على الاطراف في الشمال، وبخاصة في الجنوب الغربي، حيث تسود حياة الاستقرار. اما الوسط والأقسام الأخرى فهي قاحلة (جافة) تتخللها وديان كانت مواطن للحياة البدوية، ومسرحاً لأيام العرب، وكانت هناك بعض الواحات والآبار، والعيون التي تساعد على وجود الحياة البدوية.

مرت البداوة بمرحلتين : الأولى هي مرحلة البدو الذين يربون الأغنام والمواشي، وكانت حركتهم محدودة بحاجتهم الى الماء والى المراعي الجيدة وكانت حركتهم باتجاه السهول بطيئة وتدريجية.

اما المرحلة الثانية فجاءت بعد تدجين الجمل (في القرن الحادي عشر قبل الميلاد) مما مكنهم من القيام برحلات بعيدة وسريعة في الصحارى، ليذهبوا الى اماكن لا يستطيع العيش فيها غير الجمل. وبعد توطين الحصان (في القرن الخامس قبل الميلاد) ارتفعت قدرات البدو القتالية وبدأ عصر الفروسية.

تعتمد الحياة البدوية على الماء والمراعي، وهذه محدودة في الطبيعة، بينما يتزايد البدو بسرعة نسبياً في حياة البوادي الصحية، ولذا يصبح التوسع باتجاه السهول لازما، ومع ذلك هناك فترات كانت فيها هجرات بدوية كبيرة غمرت السهول في الشمال، وهي ما سماه البعض بالموجات السامية،

ان النقوش والكتابات القديمة تشير الى ان الصحارى كانت تضغط بصورة مستمرة على الاراضي الزراعية نتيجة التكاثر البشري والجفاف في فترات، ولكن الحكومات كانت تقف في وجه ذلك الضغط ولا تدع المجال الا للتغلغل التدريجي، الا ان ضعف الحكومات، وتحول طرق التجارة احياناً كان يفتح المجال احيانا للبدو ليغمروا السهول الزراعية.

وفي الهلال الخصيب كان لتوزيع المطر أثره في تحرك البدو، فحدود الزراعة المستقرة تتمشى مع خط المطر ٢٥٠ ملم، وهذا الخط هو محل التقاء عالم الحضر بعالم البدو، وتبدأ بعده السهول ويتناقص المطر بالتدريج باتجاه الجنوب حتى يصل الى ١٠٠ ملم في العام حيث تبدأ البوادي. وبين خطي المطر المذكورين، ٢٥٠ملم و ١٠٠ملم واللذين يتخذان شكل هلالين متوازيين تقريبا تقوم المراعي الغنية، وتتوفر جماعات البدو باستمرار، أنها البوابة الشمالية للبدو.

إن شعور المؤلف بأهمية التعرف إلى موارد (مصادر) التاريخ الجاهلي، جعله يخصص فصلاً خاصا للتعريف بها. يتناول النقوش والكتابات، والتوراة والتلمود، والكتب الكلاسيكية، والموارد النصرانية، والموارد العربية الإسلامية، والمؤرخين المسلمين. ولعله من رواد هذ المجال في العربية، بل ان اهتمامه بتحليل المصادر (تاريخ التاريخ)، أوصله إلى كتابة دراسة (في مقالات) في موارد تاريخ الطبري في صدر الإسلام تناول فيه أهم الإخباريين الذين رجع إليهم الطبري في كتابته عن تلك الفترة ولا تزال مفيدة للباحثين.

إن طروف الحياة في الصحاري ثابتة وهي متكررة عادة، والبداوة تعني إن المفاهيم والقيم وأساليب الحياة واحدة في الأساس، وتقوم على رعي الإبل والمواشي، ولا تتكون طبقات اجتماعية إذ إن مجالات التملك محدودة.

إن الوحدة الأساسية بين البدو هي ا لقبيلة وهي الوحدة الاجتماعية السياسية، ولكن العشيرة هي الوحدة الأكثر تماسكاً. وقد تقوم أحلاف" بحكم الظروف، أو نتيجة الطموح، وتكون مؤقتة في العادة. ومع ان النسب كان أساس الوحدات البدوية فان الاعتبارات السياسية وكذلك الاجتماعية . الاقتصادية كان لها أثرها. فقد تتحد جماعات صغيرة، او تندمج جماعة صغيرة في مجموعة اكبر وأقوى لمواجهة حاجات معينة مثل الرعي او لغرض التجارة او الغزو.

وتدل الكتابات (النقوش) العربية الجنوبية على ان من متطلبات الزراعة اندماج جماعات صغيرة، وحتى من الموالي، في القبيلة، وفي القرن الاول الهجري أثرت الاعتبارات السياسية والاجتماعية في العلاقات والأحلاف القبلية. اهتم العرب كثيراً بأنسابهم، وتناقلوها شفاهاً (في الشمال) او في سجلات (في العربية الجنوبية). وهي على العموم مقبولة، ولكن يبقى الكثير للتدقيق في التفاصيل، فمثلا تختلف المصادر في غسان هل هي شمالية أو يمانية إلى ان تأكدت نسبتها لليمن بالكتابات الجنوبية.

العامل الثاني المهم في تاريخ الجزيرة العربية هو موقعها على خطوط التجارة الدولية بين الشرق الأقصى والهند وبين البحر الأبيض وشرقي افريقية، فالرياح الموسمية مكنت من الاتصالات بين العربية الجنوبية والهند وشرق افريقيا.

كان هناك طريقان من الشرق الاقصى : طريق بري . الصين، اسيا الوسطى، طريق خراسان الى همدان، طيسفون، إلى سوريا، وكان هذا طريقاً صعباً ومكلفاً ومهدداً بتجاوزات القبائل في اسيا الوسطى.

وكان الطريق البحري يسير في خطين : الاول من الهند الى خليج البصرة، والثاني من الهند الى جنوبي الجزيرة العربية، وكان الخط الاول اقصر وربما أسهل، ولكنه يعتمد على الاستقرار في وادي الرافدين، وعلى سياسة الدولة القائمة هناك، اما الخط الثاني فيعتمد على العلاقات الدولية وعلى فعاليات أهالي العربية الجنوبية، ويلاحظ ان البحر الاحمر تكثر فيه الصخور المرجانية التي تجعل الملاحة فيه صعبة كما انه كان مهدداً بالقرصان من القبائل على سواحله الشرقية، وكان هذا من أسباب استعمال الطريق البري من العربية الجنوبية إلى الشام (غربي الجزيرة العربية) وكانت التجارة بحاجة إلى القوافل لتمر عبر المناطق البدوية على طريق البخور من العربية الجنوبية إلى بلاد الشام أو على الطريق من خليج البصرة إليها، على الفرات عبر بادية الشام، أو بطريق وادي الرمة ووادي السرحان، وهذا الوضع يفضي الى نوع من التعايش، فالبدو يقدمون الجمال للقوافل، ويحضرون الادلاءويفرضون الرسوم، ويقوم البعض بانشاء مراكز وكيانات في واحات أو منابع مياه مثل بترا (دولة الأنباط) وتدمر ومكة. ومثل هذه المحطات تقرن عادة بآلة وحرمة، وهي ضرورة للأمن ويعزو بعض الباحثين القلق والتحرك القبلي إلى تدهور التجارة و التغير في طرق التجارة.

وكانت العربية الجنوبية نشطة في التجارة، ربما منذ أواسط الالف الأول قبل الميلاد. وامتدت علاقاتها التجارية إلى الهند والى شرقي إفريقيا، وربما احتكرت التجارة على طريق البخور وعلى الطريق الذاهب باتجاه الشمال الشرقي الى الخليج، وكان عبور الصحارى يتطلب استخدام الجمال في قوافل، هذا الى عقد اتفاقات مع شيوخ القبائل على الطريق لضمان امن القوافل.

ان قيام الدول في العربية الجنوبية وعلاقاتها بعضها البعض، كان وثيق الصلة بالتجارة الدولية. وكان البخور والمر واللبان بضائع ثمينة. وكانت تنتج بالدرجة الأولى وتحتكر من أهلها في العربية الجنوبية وساعد تدجين الجمل على تيسير نقل هذه البضائع إلى غربي آسيا والى مصر حيث كان الطلب كبيراً عليها.

كانت المستوطنات الحضرية الأولى في العربية الجنوبية في وديان، مع قيام حكومات مدن ترتبط بالوقت نفسه مع طرق التجارة . وكان للاتصالات بالحضارات المبكرة في الشمال . في مناطق البحر الأبيض المتوسط ووادي الرافدين . من خلال التجارة أثرها . وكانت المراكز الأولى للحضارة (في العربية الجنوبية) هي مأرب (لسبأ) وشبوة (لحضرموت) و (قرتاو) (لمعين) وتمنع (لقتبان).

نكتفي بهذه الإشارة إلى الصلة بين طرق التجارة وقيام الكيانات السياسية في العربية الجنوبية لنقف عند اثر موقع الجزيرة في تاريخها.

وبعد فقد نشرت نقوش وظهرت دراسات بعد الانتهاء من كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام وفي بعضها إضافة إلى المعرفة ويكفي ان نشير إلى كتابات كرستيان روبان ومحمود الغول، وجاك ريكمانز ومحمد عبد القادر بافقيه، عن العربية الجنوبية إضافة إلى المعجم السبئي. الذي كان جواد علي يتمنى ظهور مثله، كما أشير الى مؤلفات عرفان شهيد الرائدة عن روما والعرب، وبيزنطة والعرب في القرن الرابع الميلادي وبيزنطة والعرب في القرن الخامس الميلادي وبيزنطة والعرب في القرن السادس الميلادي ويان رستو .

كما يمكن الإشارة إلى مجلة ريدان في الدراسات العربية الجنوبية قبل الإسلام، وليس الغرض الإحاطة بل الإشارة الى تقدم الدراسات ونشر النقوش في تاريخ العرب قبل الإسلام. وقد يفكر باحث أو أكثر بالكتابة في جانب أو آخر من تاريخ العرب قبل الإسلام يكمل أو يجدد ما انتهى إليه جواد علي بإيجاز وبتفصيل .

هذه المقاله مقدمة لكتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الذي سيصدر عن دار المدى قريبا.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

الدكتور جواد علي . . ذاكرة لتاريخ العرب

د. عزيز طه

حينما يتذاكر الناس في تاريخ العرب وفي طبيعة ما كانوا عليه قبل الإسلام، فإن المؤرخ الأستاذ الدكتور جواد علي، رحمه الله ، أول ما يتبادر إلى أذهانهم. ويكفيه فخرا انه ألف كتابيه الشهيرين (تاريخ العرب قبل الإسلام)
بثمانية مجلدات و(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) بعشرة مجلدات.
ولد الأستاذ الدكتور جواد علي في الكاظمية ببغداد سنة ١٩٠٧ ودرس في الاعظمية حيث كلية الإمام الأعظم أبي حنيفة وبعد ذلك أكمل دراسته في دار المعلمين العالية (كلية التربية) وبعد تخرجه فيها سنة ١٩٣١ عين مدرسا في إحدى المدارس الثانوية وسرعان ما رشح ليكون ضمن بعثة علمية إلى ألمانيا وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٩ وذلك عن رسالته الموسومة (المهدي وسفراؤه الأربعة) بالالمانية .
عاد إلى العراق وصادفت عودته قيام ثورة مايس ١٩٤١ ونشوب الحرب العراقية -البريطانية فانضم إلى الثورة وبعد فشلها اعتقل في معتقل الفاو ثم أطلق سراحه وأعيد إلى الوظيفة في وزارة المعارف واختير ليكون أمينا لسر لجنة التأليف والترجمة والنشر التي قدر لها أن تكون نواة للمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧ وفي ١٩٥٦ أصبح عضوا عاملا في المجمع واختير عضوا مراسلا ومؤازرا في مجامع اخرى عربية وعالمية . عمل الدكتور جواد علي مدرسا وأستاذا مساعدا ثم أستاذا في قسم التاريخ بكلية التربية -جامعة بغداد منذ الخمسينيات من القرن الماضي وفي العام الدراسي ١٩٥٧ -١٩٥٨ عمل أستاذا زائرا في جامعة هارفارد الامريكية وقد تقاعد فمنحته جامعة بغداد لقب (أستاذ متمرس) نشر الدكتور جواد علي قرابة (٥٠) دراسة في مجلة المجمع العلمي العراقي كما كتب في مجلات أخرى منها (المعلم الجديد) وحصل في حياته على تكريمات وأوسمة منها وسام المعارف اللبناني ووسام المؤرخ العربي وحضر ندوات ومؤتمرات عديدة منها مؤتمرات المستشرقين التي كانت تعقد في ألمانيا. من مؤلفاته المنشورة :
١. التاريخ العام (بغداد ١٩٢٧)
٢. أصنام العرب (بغداد ١٩٦٧)
٣. تاريخ العرب قبل الإسلام (ثمانية مجلدات) طبعها المجمع العلمي العراقي بين سنتي ١٩٥٦ -١٩٦٠ .
٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة مجلدات) طبعت في بيروت بين سنتي ١٩٦٨ - ١٩٧٧ .
٥. تاريخ الصلاة في الإسلام (بغداد ١٩٦٨)
٦. تاريخ العرب في الإسلام (بيروت ١٩٦٩)
كما أن له كتبا غير منشورة منها كتاباه (معجم ألفاظ المسند) و (المفصل في تاريخ العرب في الإسلام) وقد نشر مع الدكتور احمد سوسة والأستاذ بهجت الأثري خارطة الإدريسي المعروفة بـ (صورة الأرض) وطبعت سنة ١٩٥١ . وله بحث موسع نشر متسلسلا في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٠ -١٩٥٤) حول موارد تاريخ الطبري .
كان الدكتور جواد علي مؤرخا رانكويا (نسبة إلى المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة) الذي يقول إن وظيفة المؤرخ أن يعيد تشكيل الحدث التاريخي كما وقع بالضبط . وبشأن منهجه هذا قال إن ثمة مشاكل تعترض المؤرخ منها مشكلة الرجوع إلى المصادر الحقيقية ومشكلة المؤلفات القديمة باللغات المختلفة ومشكلة تشتت المصادر وتبعثرها. ويعيب الدكتور جواد علي على المؤرخين أخذهم بالعموميات بدلا من اعتماد المنهج العلمي ويضيف إن على المؤرخ أن يدرس التاريخ وفقا للظروف والحوادث التي وقعت وليس كما هو الحاضر ويحذر المؤرخين من تدخل العواطف وتحكم المذهبية واصطباغ التاريخ بصبغة عقائدية ويقول ((يقتضي على المؤرخ ليكون تاريخه علميا منزها تجنيب نفسه المذهبية المتزمتة وعليه نقد الروايات نقدا علميا محايدا ...)). ويضيف ((ثم يقوم بربط الأخبار بعضها ببعض، وشد اجزائها شدا محكما بأسلوب يتناول كل الوجوه واعتبار التاريخ تاريخ بشر وهو حكم وسياسة والسياسة سياسة في كل وقت ومكان ولن يختلف فيها إنسان عن إنسان)).
ويرى الدكتور جواد علي، أن العرب يمتلكون تاريخا ثرا وهم في غنى عن الإضافة إلى تاريخهم وتحميله ما ليس منه. ويدين استخدام الدولة التاريخ أداة بيدها ويقول إن هذا مرض مزمن في البشرية مما حمل الناس على الشك في صحة التاريخ.
واعتباره مجرد كذب وتلفيق ويضيف ((ما زال التلفيق والتنميق جاريين في التاريخ، ولاسيما في السياسات المذهبية وفي الأمور الشخصية وفي الحروب وفي الجدل بأنواعه، غير أن بوسع المؤرخ في الوقت الحاضر الكشف عن الواقع بفضل تعدد المصادر والمقارنة بينها واستخلاص الحقائق)) .
وفيما يتعلق بالدعوات حول إعادة كتابة التاريخ قال الدكتور جواد علي إن تلك الدعوات لم تنبع من فلسفة أصيلة مدروسة وإنما من ميول ومحاكاة ومحاباة ونابعة من توجيه البيئة والعصر وإخضاع التاريخ لمنطق الرأي السائد في عصر المؤرخ.
وبشأن عوامل تفسير التاريخ التي يجب على المؤرخ أن يتسلح بها يقول الدكتور جواد علي إنها :
١. التاريخ يستمد وحيه من واقع الظروف التي صنع فيها وذلك بعد تحليل وإعمال فكر واحاطة بالروايات وبالوثائق الواردة عن الحادث .
٢. تدوين التاريخ وفقا للاجتهاد الذي يتوصل إليه وجدان المؤرخ عنه .
٣. عدم الرضوخ لمدرسة معينة من المدارس التي تفسر التاريخ وفقا لديانتها وعقيدتها في تفسير التاريخ ،لأن التأريخ لرأي معين معناه أننا نزيف ونحور التاريخ ونصوغه وفقا لعقيدتنا الضيقة ،فهنا إخضاع لحكم جامد يتنافى مع ضرورات المنهج العلمي في تفسير التاريخ .
٤. على المؤرخ أن يشخص كل جوانب التاريخ ،فلا يقتصر على التمجيد والمديح ،وفي الوقت نفسه لا يحاول تسقط العثرات ومواطن الضعف .
٥. أن يكون المؤرخ وصافا عالما عادلا أي أن ينظر إلى منشأ الروايات واتجاه رواتها والزمن الذي عاش فيه صاحب الرواية وناقلها .
٦. وإزاء هذه المواصفات ،علينا ، يضيف الدكتور جواد علي ،أن نحذر من النظرة القسرية إلى تاريخنا، ويجب التبصر فيما يكتب في كل بيئة معارضة وعلى المؤرخ عدم الاقتصار على الجوانب السياسية وشمول كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية بالاهتمام .
وقبل وفاته سنة ١٩٨٧ كانت وصيته الأخيرة لمؤرخ اليوم هي الحديث عن كل جوانب الحياة ومختلف الطبقات: الخاصة والسواد.

من المانيا كان يراسل الصحف في الثلاثينيات

يحذر المؤرخين من تدخل العواطف وتحكم المذهبية واصطباغ التاريخ بصبغة عقائدية ويقول ((يقتضي على المؤرخ ليكون تاريخه علميا منزها تجنيب نفسه المذهبية المتزمتة وعليه نقد الروايات نقدا علميا محايدا ...)). ويضيف ((ثم يقوم بربط الأخبار بعضها ببعض، وشد اجزائها شدا محكما بأسلوب يتناول كل الوجوه واعتبار التاريخ تاريخ بشر وهو حكم وسياسة والسياسة سياسة في كل وقت ومكان ولن يختلف فيها إنسان عن إنسان)).

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

جواد علي والتأريخ للعرب قبل الإسلام

أ.د.إبراهيم خليل العلاف

حينما يتذاكر الناس في تاريخ العرب وفي طبيعة ما كانوا عليه قبل الإسلام، فان المؤرخ الأستاذ الدكتور جواد علي، رحمه الله ، أول ما يتبادر إلى أذهانهم. ويكفيه فخرا انه ألف كتابيه الشهيرين (تاريخ العرب قبل الإسلام) بثمانية مجلدات و(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) بعشرة مجلدات. وقد أسعدني الحظ أن أكون احد طلابه في العام الدراسي ١٩٦٤-١٩٦٥ عندما كنت طالبا في كلية التربية بجامعة بغداد وقد درسنا مادة تاريخ العرب قبل الإسلام. لقد أعجبت به شأني شان زملائي كلهم فللرجل هيبته وكنا نشعر بان العلم والأخلاق يتجسدان به وقد ازداد إعجابنا به بعد تقدمنا في دراسة التاريخ وعرفنا منزلته عند المؤرخين العراقيين والعرب والأجانب .

ولد الأستاذ الدكتور جواد علي في الكاظمية ببغداد سنة ١٩٠٧ ودرس في الاعظمية حيث كلية الإمام الأعظم أبو حنيفة وبعد ذلك أكمل دراسته في دار المعلمين العالية (كلية التربية) وبعد تخرجه فيها سنة ١٩٣١ عين مدرسا في إحدى المدارس الثانوية وسرعان ما رشح ليكون ضمن بعثة علمية إلى ألمانيا وقد حصل على الدكتوراه من جامعة هامبورغ سنة ١٩٣٩ وذلك عن رسالته الموسومة (المهدي وسفرائه الأربعة) بالالمانية. عاد إلى العراق وصادفت عودته قيام ثورة مايس ١٩٤١ ونشوب الحرب العراقية –البريطانية فانضم إلى الثورة وبعد فشلها اعتقل في معتقل الفاو ثم أطلق سراحه وأعيد إلى الوظيفة في وزارة المعارف واختير ليكون أمينا لسر لجنة التأليف والترجمة والنشر التي قدر لها أن تكون نواة للمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧ وفي ١٩٥٦ أصبح عضوا عاملا في المجمع واختير عضوا مراسلا ومؤازرا في مجامع اخرى عربية وعالية .

عمل الدكتور جواد علي مدرسا وأستاذا مساعدا ثم أستاذا في قسم التاريخ بكلية التربية –جامعة بغداد منذ الخمسينات من القرن الماضي وفي العام الدراسي ١٩٥٧ -١٩٥٨ عمل أستاذا زائرا في جامعة هارفارد الاميركية وقد تقاعد فمنحته جامعة بغداد لقب (أستاذ متمرس) .

نشر الدكتور جواد علي قرابة (٥٠) دراسة في مجلة المجمع العلمي العراقي كما كتب في مجلات أخرى منها (المعلم الجديد) وحصل في حياته على تكريمات وأوسمة منها وسام المعارف اللبناني ووسام المؤرخ العربي وحضر ندوات ومؤتمرات عديدة منها مؤتمرات المستشرقين التي كانت تعقد في ألمانيا.

من مؤلفاته المنشورة :

١. التاريخ العام (بغداد ١٩٢٧)
٢. أصنام العرب (بغداد ١٩٦٧)
٣. تاريخ العرب قبل الإسلام (ثمانية مجلدات) طبعها المجمع العلمي العراقي بين سنتي ١٩٥٦ –١٩٦٠ .
٤. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (عشرة مجلدات) طبعت في بيروت بين سنتي ١٩٦٨ – ١٩٤٧ .
٥. تاريخ الصلاة في الإسلام (بغداد ١٩٦٨)
٦. تاريخ العرب في الإسلام (بيروت ١٩٦٩)

كما أن له كتبا غير منشورة منها كتاباه (معجم ألفاظ المسند) و(المفصل في تاريخ العرب في الإسلام)

وقد نشر مع الدكتور احمد سوسة والأستاذ بهجت الأثري خارطة الإدريسي المعروفة بـ (صورة الأرض) وطبعت سنة ١٩٥١ . وله بحث موسع نشر متسلسلا في مجلة المجمع العلمي العراقي (١٩٥٠ -١٩٥٤) حول موارد تاريخ الطبري .

كان الدكتور جواد علي مؤرخا رانكويا (نسبة إلى المؤرخ الألماني ليوبولد فون رانكة) والذي يقول إن وظيفة المؤرخ أن يعيد تشكيل الحدث التاريخي كما وقع بالضبط.

وبشان منهجه هذا فان صديقنا الأستاذ حميد المطبعي اجرى معه في مجلة أفاق عربية (السنة ٣ ،العدد ١ ،آذار ١٩٧٨) حوارا قال فيه إن ثمة مشاكل تعترض المؤرخ منها مشكلة الرجوع إلى المصادر الحقيقية ومشكلة المؤلفات القديمة باللغات المختلفة ومشكلة تشتت المصادر وتبعثرها. ويعيب الدكتور جواد علي على المؤرخين أخذهم بالعموميات بدلا من اعتماد المنهج العلمي ويضيف إن على المؤرخ أن يدرس التاريخ وفقا للظروف والحوادث التي وقعت وليس كما هو الحاضر ويحذر المؤرخين من تدخل العواطف وتحكم المذهبية واصطباغ التاريخ بصبغة عقائدية ويقول ((يقتضي على المؤرخ ليكون تاريخه علميا منزها تجنيب نفسه المذهبية المتزمتة وعليه نقد الروايات نقدا علميا محايدا ...)).

ويضيف ((ثم يقوم بربط الأخبار بعضها ببعض، وشد اجزائها شدا محكما بأسلوب يتناول كل الوجوه واعتبار التاريخ تاريخ بشر وهو حكم وسياسة والسياسة سياسة في كل وقت ومكان ولن يختلف فيها إنسان عن إنسان)).

ويرى الدكتور جواد علي، إن العرب يمتلكون تاريخا ثرا وهم في غنى عن الإضافة إلى تاريخهم وتحميله ما ليس منه. ويدين استخدام الدولة التاريخ أداة بيدها ويقول إن هذا مرض مزمن في البشرية مما حمل الناس على الشك في صحة التاريخ واعتباره مجرد كذب وتلفيق ويضيف ((مازال التلفيق والتنميق جاريين في التاريخ، ولاسيما في السياسات المذهبية وفي الأمور الشخصية وفي الحروب وفي الجدل بأنواعه، غير إن بوسع المؤرخ في الوقت الحاضر الكشف عن الواقع بفضل تعدد المصادر والمقارنة بينها واستخلاص الحقائق .

عمل الدكتور جواد علي مدرسا وأستاذا مساعدا ثم أستاذا في قسم التاريخ بكلية التربية –جامعة بغداد منذ الخمسينات من القرن الماضي وفي العام الدراسي ١٩٥٧ -١٩٥٨ عمل أستاذا زائرا في جامعة هارفارد الاميركية وقد تقاعد فمنحته جامعة بغداد لقب (أستاذ متمرس) .
نشر الدكتور جواد علي قرابة (٥٠) دراسة في مجلة المجمع العلمي العراقي كما كتب في مجلات أخرى منها (المعلم الجديد) وحصل في حياته على تكريمات وأوسمة منها وسام المعارف اللبناني ووسام المؤرخ العربي وحضر ندوات ومؤتمرات عديدة منها مؤتمرات المستشرقين التي كانت تعقد في ألمانيا.

وفيما يتعلق بالدعوات حول إعادة كتابة التاريخ قال الدكتور جواد علي إن تلك الدعوات لم تنبع من فلسفة أصيلة مدروسة وإنما من ميول ومحاكاة ومحاباة ونابعة من توجيه البيئة والعصر وإخضاع التاريخ لمنطق الرأي السائد في عصر المؤرخ.

وبشان عوامل تفسير التاريخ التي يجب على المؤرخ أن يتسلح بها يقول الدكتور جواد علي أنها :

١. التاريخ يستمد وحيه من واقع الظروف التي صنع فيها وذلك بعد تحليل وعمل فكر واحاطة بالروايات وبالوثائق الواردة عن الحادث .
٢. تدوين التاريخ وفقا للاجتهاد الذي يتوصل إليه وجدان المؤرخ عنه .
٣. عدم الرضوخ لمدرسة معينة من المدارس التي تفسر التاريخ وفقا لديانتها وعقيدتها في تفسير التاريخ ،لان التاريخ لرأى معين معناه إننا نزيف ونحور التاريخ ونصوغه وفقا لعقيدتنا الضيقة ،فهنا إخضاع لحكم جامد يتنافى مع ضرورات المنهج العلمي في تفسير التاريخ .
٤. على المؤرخ إن يشخص كل جوانب التاريخ ،فلا يقتصر على التمجيد والمديح ،وفي الوقت نفسه لا يحاول تسقط العثرات ومواطن الضعف .
٥. أن يكون المؤرخ وصافا عالما عادلا أي أن ينظر إلى منشأ الروايات واتجاه رواتها والزمن الذي عاش فيه صاحب الرواية وناقلها .
٦. وإزاء هذه المواصفات ،علينا ، يضيف الدكتور جواد علي ،أن نحذر من النظرة القسرية إلى تاريخنا، ويجب التبصر فيما يكتب في كل بيئة معارضة وعلى المؤرخ عدم الاقتصار على الجوانب السياسية وشمول كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية بالاهتمام .
٧. ويقدم الدكتور جواد علي وصيته الأخيرة للمؤرخ المعاصر وهي إن على مؤرخ اليوم أن يتحدث عن كل جوانب الحياة ..عن كل الطبقات ..عن الخاصة والسواد .

يقول الدكتور خلدون درويش لطفي في مقال له عن الدكتور جواد علي نشره في مجلة (المؤرخ العربي) وبالعدد ٥٦ (١٩٩٨) : أن الدكتور جواد علي يعد من كبار المؤرخين العرب المعاصرين ، وقد اشتهر بمؤلفاته الرصينة وأبحاثه القيمة التي أكسبته هذه الشهرة والمنزلة الرفيعة بين المؤرخين البارزين على الساحتين العربية والعالمية. توفي ،رحمه الله ، سنة ١٩٨٧ وترك بيننا إرثا يخلده ابد الدهر.

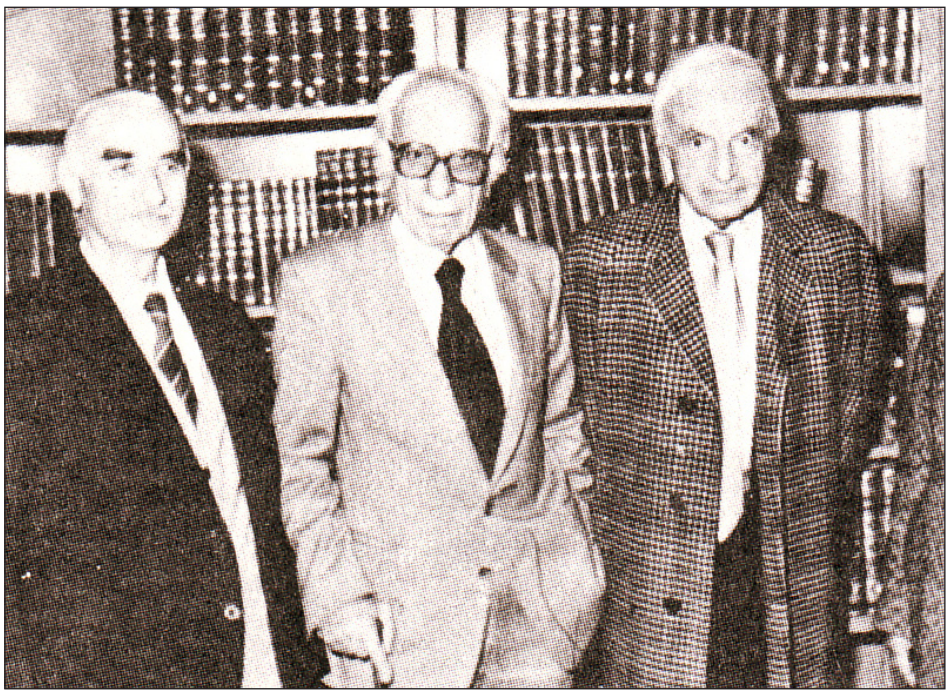

مع كوركيس عواد وكمال السامرائي

من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

مجادلات في الفكر والتاريخ والعلوم الانسانية

العلامة جواد علي وآراؤه في التاريخ

×قال: أنا تعبت.. فالرحلة عسيرة طويلة ، والتاريخ مثل بقايا سد مأرب وغار حراء وليل بغداد العباسيين، تمتزج فيه الوسيلة بالغاية، ويعرس في صحراء الشياطين والملائكة وذوي الوسواس، ومع هذا ، قلت له: ما كانت الولادة إلا بالعسر فلنكتب لهم ولنا: قضية إنتصار العقل في هذا المدى، فهو حجتنا في دحض الهرطقة وما جاء به الدهاقنة..فتساءل وكان فرحاً كزهاد الطريقة: من اين نبدأ .. وكانت الرحلة مع خمسين سنة من نقد التاريخ والوراقين والنساخين رحلة لا تنتهي الا وتتجدد..فهو الفوز المبين!

وهذا هو مايحدث في الوقت الحاضر.

×دكتور.زهل ظهر تبدل في نهج الموسوعات الحديثة عما كانت عليه في القرن الثامن عشر..؟

-نعم، بعد أن تبدلت وتوسعت في آفاقها واختلف طابعها عما كانت عليها ايام الموسوعة التي تعاون على اخراجها: (ديدرو) وعدد من الفلاسفة والمؤرخين باللغة الفرنسية والتي تناولت تطور العلوم والفنون والاخلاقيات، وايام الموسوعة الالمانية التي ظهرت في المانية (١٨١٨ -١٨٩٠) عن العلوم والفنون والتي خلفتها الموسوعة المعروفة باسم "بروكهوس" ومثل الموسوعة البريطانية "encyciop aedia britanica" والموسوعة الافرنسية المعروفة باسم "الموسوعة الكبيرة": "lyrande enciopidie" او معجم لاروس والموسوعة الايطالية.

×من اوراق الماضي:

×قبل ثمانية اعوام قال لي الدكتور جواد علي: ليس في مقدور احد منع اصحاب العلم من العرب او من غيرهم من الاقدام على تدوين تاريخ عام عن العرب منذ فجر البشرية الى يومنا هذا او الكتابة عن حقبة خاصة، مثل تدوين كتاب في سيرة الرسول باسلوب علمي حديث يكون في مقابل ما كتبه "كيتاني" او غيره من المستشرقين عن السيرة، فنحن لانملك في الواقع كتاباً علمياً دقيقاً عن السيرة او كتاباً عن الخلفاء الراشدين.

×ثم قال في موضع عن ميزة التأليف الفردي وكنت اسأله فيما بخص النهج العلمي والاكاديمي: ان العمل سيكون في هذه الحالة وحدة منسقة ، ترتبط فصوله بعضها ببعض وقد وضع في صيغة موجزة تظهر عليها صفة شخصية صاحبها وما عنده من رأي ، وبذلك تكون هذه الدراسة قريبة من مدارك الجمهور ومن مذهب القارئ..

وكان الدكتور يخلص من كل ذلك: ان الواقع العلمي يحدثنا ان التقدم الذي وقع في التاريخ هو تقدم جاء نتيجة جهد مؤرخ فرد موهوب متمرس في فنه اكثر من نتيجة عمل لجان من المؤرخين..

نظرة.. على اخطاء المؤرخين العرب القدامى

×دكتور ..في السابق التاريخي، كيف نحلل اخطاء المؤرخين العرب القدامى بنظرة موضوعية ..؟

يقول الدكتور جواد علي:

-نسبة الاخطاء الفكرية والعلمية الى المؤرخين العرب، عمل جائر، وقول فيه اجحاف ، فالمؤرخ هو مثل غيره من الناس بما فيهم العلماء متأثرون بمحيطهم وبيئتهم، ولكل زمان ومكان ظروف وعقلية، فلا يجوز لأناس مثلنا ان ترمي المتقدمين علينا بالوقوع في الخطأ..

×سبب هذه الظاهرة..

-لأن زماننا يختلف عن زمانهم .. وفلسفتنا تختلف عن فلسفتهم ونظرة الماضين عن الدنيا والحياة تختلف عن نظرتنا اليهما.. كما ان نظرة من سيأتي بعدنا عنا ستختلف عن نظرتنا ، وسيرموننا بنفس ما نرمي به المتقدمين علينا من نعوت وأوصاف..

×كيف نستدل دكتور..فيما ظهر..؟

-انه ، اذا ما رأينا المؤرخين العرب يروون الاساطير والخرافات عن الامم الخالية والقرون البالية، وينسبون لهم العمر الطويل او ينصب تاريخهم على الخلفاء والملوك والسلاطين فعزوا كل الامور لهم ، ونسبوا عظائم الاحداث لرغبة رجل وأمره وقراره الذي اتخذه بحرية، وكأنه لا وجود لضغط او لظروف محيطة من سياسة العاديين الذين كونوا الجماهير العريضة فكان كثير من هؤلاء المؤرخين لايولونهم اهتماماً الا عندما يتعلق الامر بعلاقاتهم بالحكام ، وتدل التسميات التي يطلقونها عليهم على مدى الامتهان والازدراء الذي يكنونه لهم، مثل (الغوغاء) والاوباش ، و(السفلة) ، كما اعتبروا تحركات هؤلاء فتنة حتى لو كانت لدفع ظلم او رفع حيف وسموا زعماء باسم (الخبيث) و(المارق) ..

أين نحن من تاريخ العالم وأي مشكلة تقف أمام المؤرخ .؟

×ما أسباب هذا التباين ولمن نرجعها دكتور..؟

-أولا، لأن مفاهيم التاريخ في ايامهم تختلف عن مفاهيم التاريخ عندنا في هذا العصر..اذ لم يعد خطأ عندهم..

وثانياً ، لم تكن الجماهير يومذاك تدير الدولة غنما كان يديرها الملوك والسلاطين والحكام ، ليس في البلاد العربية وحدها او في البلاد الاسلامية حسب وانما في كل دنيا ذلك الوقت.

جدل النقد في حكم الوثائق

×دكتور.. لنورد، نماذج من الانتقاد الذي عثرت عليه في كتب المؤرخين القدامى، التي اصبحت في حكم الوثائق..؟

في ضوء نظرته للتاريخ الاسلامي، قال:

-انتقد (ابن الاثير) الطبري في امور معقولة، ومن امور التاريخ، وقد عاش ابن الاثير بعد الطبري كما هو معلوم ، وانتقد (ابن خلدون) الذي عاش بعد ابن الاثير الطبري، وانتقد من جاء من بعد ابن خلدون، على بعض ارائه التي دونها في المقدمة، ولكنه لم يعمل بموجبها في تأريخه الذي وضعه بعد المقدمة، كما انه لم ينج من الخطأ الذي اعتبر ان الطبري قد وقع به.

ونحن اذا استعرضنا قائمة المؤرخين منذ ايام المؤرخ (هيرودوتس) الذي انتقد من عاش قبله من المؤرخين لارائهم البعيدة عن العقل، والذي اراد ابعاد الاساطير عن العقل، يقع هو نفسه في هذا الخطأن فيروي الخرافات والقصص اللامعقول، ثم يرميه من جاء بعده بما رمى هو نفسه من تقدم عليه من المؤرخين..

×دكتور.. اذا كان هذا الاختلاف والذي يصل في بعضه الى التناقض في الافكار، هو من طبيعة جدل الفكر الانساني، فهل سيؤدي ذلك الى حركة تطوير التأليف التاريخي..؟

-بطبيعة الحال، فأن النقد سيستمر ، تلك سنة..وانت تسأل عن أيجابية ، أو اثار هذه الحركة أقول ان من اسبابها ومن ثم نتائجها:

أ-ان التاريخ من المادة الاجتهادية للانسان.

ب-ان الانسان ليس واحداً في اجتهاده، بل هو مختلف في رايه.

ج-وان هذا الاختلاف مفيد في حد ذاته،

الاخطاء في التاريخ هي اخطاء لاتتوقف على عصر، ولاتنحصر في حقبة معينة من زمن معين..فالتاريخ هو موضوع له صلة بالعواطف وبهوى الناس، وبالعقيدة وبالاديان ، وبالسياسة، ولذلك تنظر الحكومات إليه بنظرة خاصة.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

لانه يدفعه الى الريبة والشك..

د-والشك هو الطريق الموصل الى البحث عن اليقين، وهو يدفع على الاستفسار والسؤال.

هـ- بطبيعة المنطق ، فان الاسئلة المتتالية عن الماهية هي مفتاح باب العلم.

مقارنة واستنتاج: يذهب الدكتور جواد علي –هناك في كتب التاريخ العربية القديمة ما نجده في كل كتب التواريخ الاخرى من يونانية وسريانية ولاتينية، من مؤاخذات وهنات وتزوير ودس، وقد أشار القدامى الى مواضيع منه، وفات عنهم البعض، واقتضت ظروف سياسية الوضع لاسباب سياسية وللسياسة منطق خاص في قيم الحق وفي مفهوم الامانة في التاريخ والصدق في تدوين الخبر، أي ما نسميه بالرواية..

من أوراق الماضي..

×في اواسط السبعينيات ، كان الدكتور جواد علي يرد على سؤال كنت قد وجهته اليهن عن "العلة" في كتب القدامى، قال ناقداً:

–كتب التاريخ عنيت بالعموميات بالدرجة الاولى ، وانها لا تضم شيئاً مهماً عن تاريخ العرب قبل الاسلام، فاذا اردنا ان نكتب عن هذا التاريخ، فلا بد من الرجوع الى كتب التفسير وكتب الحديث وشروحها بوجه خاص والى كتب المعاجم وكتب اللغة والادب و دووايين الشعر الجاهلي، ولاسيما شروحها ، لنستنبط منها مادة عن هذا التاريخ، لانجدها في كتب التاريخ المألوفة..

وفي موضع اخر قال لي، عن تذليل الصعوبات التي تعيق المؤرخ في كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام: يقوم التغلب عليها بالتخطيط اولاً، والقيام بحرفيات علمية في جزيرة العرب بشكل جدي ومنظم ونشر النتائج ليكون في امكان مؤرخي المستقبل، التوسع والاحاطة والشمول والاصالة..

كتاب عيوب التاريخ في العقود الاخيرة..

×تاريخ العالم يكتبه مجتهدون بنظريات تخضع لعوامل تاريخية هي من واقع الامم، هل تظهر اخطاء منهجية عضوية في كتابة التاريخ هذا – دكتور ..؟

–الاخطاء في التاريخ هي اخطاء لاتتوقف على عصر، ولاتنحصر في حقبة معينة من زمن معين..فالتاريخ هو موضوع له صلة بالعواطف وبهوى الناس، وبالعقيدة وبالاديان ، وبالسياسة، ولذلك تنظر الحكومات إليه بنظرة خاصة.

×دكتور.. وما نوع هذه الحكومات ، هل هو تصرف ايديولوجي نقوم به هذه الحكومات..؟

–خذ عهد بسمارك(حكم بسمارك) كانت المانية في ذلك العهد، تريد الوحدة، لانها مفككة غير موحدة ، وقد اتخذ من المؤرخين والتاريخ أداة أولى للاشادة بالوحدة، وكتاب المانية ومؤرخوها وعلى رأسهم (ترايجكه) وفيلسوفها (فيشته ، ونيتشه) وغيرهم يدعون الى وحدة المانية قوية، والى امة جرمانية تأخذ مكانها الملائم لمجهودها وانتاجها في هذا العالم.

×هل كان بسمارك ينطلق من تصور خاص..؟

–نعم .. لقد اعتبروا (التاريخ) اداة من ادوات : الثقافة الوطنية.

×دكتور.. في زمن هتلر اتخذ التاريخ شكلاً عرقيا..؟

–بالفعل..لأنه تأثر بهذه الروح (القومية) في التاريخ فقد رأى ان الجرمان هم الشعب المختار في هذا العالم، وان الشعوب الارية، هي وحدها الشعوب الخلاقة في هذا الكون.. وكان متأثراً بآراء الافرنسي الكونت (كويت).

..وان اليونان هم اهل الحضارة الاولى ومن الأريين أخذ الساميون حضارتهم في العراق وفي بلاد الشام وفي مصر.. وهي وجهة نظر كيفية لم يوافق عليها رجال التاريخ (الاكاديميون) ..فالتاريخ في هذه الحالة قد اسيء استخدامه بالطبع.

وظهرت في تركية في النصف الاول من هذا القرن دعوة تفيد ان الاتراك من نسل الحيثيين ، وشايعها بعض الكتاب ، ولكنها لم تنجح.

×لدينا اليوم فلسفات في تفسير التاريخ تختلف في وجهات نظرها، عن تفسير رجال القرن التاسع عشر للتاريخ.. لكن اسالك ، هل التعددية هذه تستهدف (معنى التاريخ) أم الاجتهاد في تفريع المعرفة..؟

–اعتقادي، ان هذا الاختلاف نابع من (تفسير معنى التاريخ)، فالتاريخ في حد ذاته هو وصف لفعل مضى وانقضى استخرج من الوثائق، والوثائق هي مادة التاريخ، وعليه تكون قوة حجة المؤرخ أو ضعفها في وصف حادث ما، مستمدة من الوثيقة.

×يطرح الدكتور جواد علي، الاسئلة –بصيغة الاجوبة، عن غائية التاريخ والعناية به ويقول:

١–هل لمعرفة هذه المسيرة نحو الخير أم نحو الشر، باعتبار التاريخ: (حاسبة الكترونية) تقدم لك حساب الانسانية، أو حساب زماننا هذا على الاقل.

٢–في قوانين التطور:

هل هو تطور حسب نواميس الطبيعة، يلاحظها الانسان فيسجله ، فليس للانساب عمل في قوانين هذا التطور، ام تقدم نحو الامام نحو عالم افضل تخدم فيه الاختراعات الجديدة سيدها الانسان، وتخوفه في الوقت نفسه من الاساءة في استخدامها وتحذره من تفجيرها، ففي تفجيرها دمار لما صنعه الانسان في مسيرته هذه.

٣–في عالم الصراع:

هل هو مسيرة للانسانية تسير به من عالم ضعيف الى عالم اقوى، يتساوى فيه القوي مع الضعيف ، عالم يخلو من جنون التسلح والحماقات ، يقضي الانسان فيه حياته بهناء ثم يموت ، أم ان الانسانية هي هي لا تتبدل ولا تتغير من حيث الطبع، انما تتبدل من حيث التعامل واظهار اللطف؟

من اوراق الماضي..

×..فيما مضى سألت الدكتور جواد علي عن اسباب ازدراء بعض المؤرخين للتاريخ، قال:

–نحن نعلم ، ان التاريخ هو من أهم المعارف الحساسة التي تحاول الدول استخدامها آلة بيدها، بتمجيد أعمالنا، وبكتابة التاريخ حسب هواها، وهو مرض قديم مزمن في البشرية ، حمل كثيراً من الناس على الشك في صحة التاريخ، واعتباره مجرد كذب وتلفيق، وبين الذين شكوا به عدد من المؤرخين ، وقد قبل ان احد المؤرخين الانكليز ألقى بمؤلفاته في النار حين رأى حريقاً وهو في بيته ، فلما نزل ليراه وليبحث عن سبب حدوثه، وسأل الناس، وجدهم يختلفون في وصفه وفي تفسيره فحنق على التاريخ وقال: ان تاريخاً يكتب على مثل هذه الرويات لايكون تاريخاً، وقد الف السنحاوي كتاباً في الرد على من ذم التاريخ، دعاه:

(الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، وذم التاريخ هو سبب هذا الذي نسب الى التاريخ..)

تجربتي في كتابة التاريخ

×..وفي جلسة اخرى من هذا الحوار، مع الدكتور جواد علي، بحث في منهجه ، قلت انت استعرضت الكتب والمناهج والاساليب ، ولم تقل لي اين منهجك، فجعل يسرد لي ملامح تجربته في كتابة التاريخ وانا ألخصها بتصرف، وهو مقتنع بهذا التصرف قال:

–..اخذت منهجي في تدوين ما كتب في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وفي تاريخ العرب في الاسلام، من رأيي الذي توصلت اليه، من خلال مراجعتي لما كتبه العلماء والسياح عن ايام جزيرة العرب قبل الاسلام عن نتائج بحوثهم واكتشافاتهم فيها، وما نقلوه، من صور نقشها اهل الجزيرة قبل ايام التاريخ، أي قبل الخمسة او الستة الاف سنة قبل الميلاد، وخلاصته ان قوماً خلدوا لهم وجودا قبل ان يعرف القلم، وتركوا لهم آثار سكن عند مواضع الماء وفي الكهوف، وكانت لهم صلات مع الاقوام المجاورة لهم، وكان لديهم قلم خاص بهم ، ظهر حين اكتشف الانسان الكتابة، ان قوماً هذا حالهم لايمكن ان يصدق ما رواه اهل الاخبار عنهم، وما يرويه بعض الناس حتى هذا اليوم عنهم، من أنهم كانوا جهلة وفي عزلة عن العالم، وانهم لم يظهروا في التاريخ الا بظهور الاسلام، ظانين ان القول بخلافه هو غض من شأن الاسلام فما معنى هذه الاهمية التي نقيمها للاسلام، ان كان عرب ما قبل الاسلام على معرفة وكتابة، واصحاب قلم ودول وحضارة! وهو كلام لايقبل به الاسلام نفسه، ولا يرضى به، وما كانت الجاهلية التي نسبها القرآن الكريم لعرب هي جاهلية عنجهية وسفاهة بدت ممن قابل الاسلام بالسخرية والازدراء بدلاً من مجادلته بالتي هي احسن..

وقد ادرك احد الاعراب، على اميته، هذه الملاحظة حين سأل احد المستعربين (المشرقين) عما ينقشه فقال له المستعرب: هذه كتابات كتبها بدو قبلكم وقبل الاسلام بزمان طويل، وان هذه الاحدار التي تراها مكتوبة في البادية هي من كتاباتهم ، عندئذ قال البدوي: يظهر ان اجدادنا كانوا خيراً منا، يقرأون ويكتبون.

من هذه القصة وأمثالها، توصلت الى ضرورة تدوين تاريخي بالرجوع الى كتابات العرب الاولين، لأنها وثائق والوثيقة هي المادة التي تلم بالتاريخ.

من أوراق الماضي..

×وكنت اثناء الكشف عن ميراثنا العربي في التاريخ مع الدكتور جواد علي قبل سنين قلت له: (ما هو حذرك ازاء التاريخ)؟ قال: النظرة القسرية اليه، وبوعي المؤرخ المتجرد جاء حديثه:

..أن ما نراه في الموارد الاسلامية عن الجاهلين يجب ان يفحص، ويدقق بعناية لاحتمال وجود التحامل فيه على العرب، من قبل اناس ظنوا ان في التشهير بهم قربة وحسبة الى الله تعالى، وان محاسن دين الله لاتظهر الا بتجريد عباد الاصنام من كل حسن وجيد، ومن كل علم وفهم، والاسلام كما نعلم ثورة على الشرك، فوجهة نظر رواة التاريخ الجاهلي نابعة من هذا الاتجاه، وما نراه عن الخلافة والخلفاء الراشدين يجب دراسته بكل عناية، فما من خليفة منهم إلا وله مبغضون ومعادون، فالخلفاء امراء المؤمنين ساسة وحكام امة، ولكل حاكم محب ومبغض ، ومن طبيعة الحكم ان يخلق للحاكم معارضة بين الناس ، قد تكون بغير سبب مباشر وتماس بالحاكم وانما لمجرد تسنمه الحكم.

وقلت للدكتور جواد علي، وما المؤرخ المعاصر؟ قال: يجب ان يكون وصافاً عالماً عادلاً يحكم بالعدل والانصاف، ومعنى هذا ان ينظر الى منشأ الروايات واتجاه رواياتها والزمن الذي عاش فيه صاحب الرواية وناقلها ..وان يشخص كل جوانب التاريخ فلا يقتصر على التمجيد والمديح ولايحاول جهد نفسه تسقط العثرات ومواطن الضعف.. وتدوين التاريخ وفقاً للاجتهاد العلمي المخلص الذي يتوصل اليه وجدان المؤرخ عنه..

مناهج تدون التاريخ..

×دكتور جواد.. ليس من شك، ان المناهج المتبعة في تدوين التاريخ تختلف باختلاف وجهة نظر المؤرخ فيما يرد ان يكتبه، لكن أي منهج بأمكانه ان يكون اكثر وثوقاً في التاريخ..؟

–(واقعاً) ان المؤرخ المحترف، يعرف كيف يستخرج من الوثائق التي اعتمد عليها مادته، والوثيقة كما ذكرت ، هي مادة التاريخ، بل هي التاريخ الذي مضى وانقضى ، صمت فيه الفاعل ، ولم يعد يتمكن من النطق ، بما وقع وحدث، ليحاكم على ما يقول من صدق أو كذب ،وفقاً للوثائق التي تتحدث عنه، ثم ان المؤرخ يفسر التاريخ ، على وفق مدرسته وعلى وفق فلسفته في التاريخ ، فتاريخ يجعل التاريخ سجلاً يسجل اوامر الله في مسير الانسانية وفي مسير هذا الكون.. وتاريخ يرى ان الانسان يسير في حياته على وفق قوانين طبيعية تؤثر فيه، أو على وفق قوانين مادية ، أو حرب بين الطبقات أو عوامل اقتصادية ، او عوامل صوفية مثل صوفية (ميشليه) وغير ذلك من الاراء التي تمثل اتجاهات متضاربة ، الغاية منها كلها هي الوصول من هذه الوثائق الى الاتجاه الذي تسير الانسانية نحوه، نحو الافضل ، او نحو الاسوأ نحو رقي على هذه الارض ، او نحو هبوط الى جحيم يعم هذا الكون في رأي المتشائمين امثال (شوبنهاور) أو (شبنكلر) واضرابهما.

الرواية والرواية وموقف المؤرخ منهما.

×..في التاريخ قد يكون هناك صنفان من المؤرخين يتحكم فيهما الاجتهاد الخاص والعام ، ما هي الاحكام في كتابة التاريخ..؟

–ان الطريقة السائدة السائدة بين المؤرخين بصورة عامة ، هي التي تقوم على جميع المقتطفات في أي سورها، واستنباط ما فيها من مادة تاريخية، ويدخل في هذه المصادر مصادر غير مكتوبة من دون شك.. ثم يدرس المؤرخ هذه المقتطفات ويستنتج منها ما يصل اجتهاده من دراسة الرواية، أي الوثيقة.

وهناك فريق آخر من المؤرخين يرى ان التاريخ العلمي لا يحصل عليه من نص الوثيقة، وانما من هذا النص ومن المعاني الكامنة وراءه، وعلى المؤرخ ان يسأل نفسه : (ما معنى هذه العبارة)؟ و (ماهو المعنى الذي قصد اليه واضع هذه العبارة حين صاغها على هذه الصورة)؟ وهل يستنتج من الفقرات الواردة في الرواية شيئاً، ثم هل يعقل ويقبل ما جاء في الوثيقة ويحكم عليها بموجب ما عنده من تجارب وخبرات سابقة وان خالفت ما جاء في نص الرواية؟ فلرأي المؤرخ اذن قيمة كبيرة في فهم التاريخ ، ولكن اقحام الرأي الشخصي في الوثيقة يخرجها في رأي المؤرخين المتمسكين بالنص على طابع الاصالة، ويجعل الراي المؤرخ مكانة في اصدار احكام التاريخ، وأي خرجها عن العلمية في التاريخ التي تنادي بها الفئة الثانية من المؤرخين العلميين، ويكون التاريخ عندئذ تاريخ راي واجتهاد لا تأريخا اصيلاً مستنبطاً من ادلة وبراهين.

من أوراق الماضي..

×..وكنت قبل زمن مضى أتحدث مع الدكتور جواد علي، عن قضية الاجتهاد في تفسير التاريخ قلت له وماذا تقول بالتفاسير العلمية (العصرية) للاسلام ، قال:

–لقد لفتت النهضة الاوروبية الحديثة انظار بعض المفكرين، ففسروا الاسلام تفسيراً عصرياً، وفسروا القرآن تفسيراً علمياً فيزياوياً وكيمياوياً ونحو ذلك ، كالذي فعله المرحوم طنطاوي جوهري، وغايتهم من ذلك، اظهار ان الاسلام دين يوائم كل زمان ويناسب كل مكان، وانه قد يشير بهذه العلوم في وقت ظهوره، وقد فاتهم ان النظريات العلمية هي في تبدل وتغير وان بعض ما نسميه بالمسلمات قد لايسهم بها في المستقبل، وان ما جاء به الجوهري من تفسير قد حكم العلم ببطلانه فيما بعد، وان هذه التفاسير تعرض القرآن الكريم للتغير والتبديل، ثم فاتهم ان القرآن ليس بكتاب كيمياء ولا بكتاب في الفيزياء ولا بكتاب في العلم او الفن او التقنيات، وانما هو كتاب جاء هدياً للناس ورشداً ليحررهم من ربقة التخلف بشتى انواعه ضمن قواعد معروفة..

..ويريد الدكتور جواد ان يصل الى حقيقة علمية عن القرآن ، حينما يقول: ان التفسير العصري للقرآن وللأسلام يقر، ان كل جيل يجب ان يفسر للاسلام بعقلية جيله، بينما يجب على المؤرخ ان يفسره: وفقاً للظروف والحوادث التي وقعت في ايام النبي وأدت الى صدور احكامه لمعالجتها وفقاً لتلك الظروف..

مجلة افاق عربية حزيران ١٩٨٤

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

حوار مع الدكتور جواد علي

في كتاب (المهدي المنتظر) عن الشيعة الاثنى عشرية

د. حسن عيسى الحكيم

كان لي مع أستاذي الراحل الدكتور جواد علي محاورة حول كتابه (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية) يوم كان يلقي محاضراته على طلبة الماجستير في قسم التاريخ بكلية الآداب/ جامعة بغداد عام ١٩٧٢م، وكنت أكرر عليه القول: لمَ لمْ يترجم الكتاب من اللغة الألمانية إلى العربية، وذلك لحاجتنا العقائدية إليه، وقد أجابني بقوله: إذا طبع الكتاب باللغة العربَية، ووقع بين أيديكم، فإنكم سوف تنظرون إليّ بما لا يرضيني، فقلت: معاذ الله يا أستاذي الكريم، فإننا نحترم العلماء والباحثين، وان لم نلتق معهم بالرأي، وبقي الكتاب باللغة الألمانية حتى وفاة المؤلف عام ١٩٨٧م،

ومن المعروف ان الكتاب المذكور هو اطروحة دكتوراه حصل عليها المؤلف من جامعة (هامبورغ) عام ١٩٣٩م، ويبدو ان تخوف الدكتور جواد علي من ترجمة الأطروحة إلى اللغة العربية ناتج عن تخوفه من المجتمع الاسلامي، والمجتمع الشيعي على وجه التحديد، ولكن الأطروحة المذكورة ترجمها الدكتور أبو العيد دودو (الجزائري الجنسية) عام ٢٠٠٥م وطبعها في مدينة كولونيا بالمانيا، وقد وقفنا على الطبعة المترجمة من الكتاب ودرسناه منهجياً.

وكان في البدء قد أشار إلى الفقيهين الكبيرين السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، لما قدماه من إرشادات علمية للمؤلف في اثناء كتابة الأطروحة المذكورة، والتأشير على المصادر الشيعية والإسلامية الأخرى التي يمكن الاستفادة منها. وقد ذكر الدكتور جواد علي ان اطروحته هي الأولى في الجامعات الأوربية تناولت موضوع الإمام المهدي عليه السلام بقوله: (فليست هناك حتى اليوم ـــ أي حتى تاريخ إعداد الأطروحة ـــ دراسة علمية حديثة شاملة حول الإثنى عشرية)(١) وكان في الوقت نفسه أشار إلى دراسات أوربية غير جامعية، منها دراسة الأستاذ (شتروتمان) في كتابه (الإثنى عشرية) ودراسة (نيبرغ) في كتابه (الانتصار في الرد على ابن الراوندي) الذي ضم مزاعم بعيدة عن الحقيقة والواقع العلمي، وقد حاول الدكتور جواد علي في التمهيد الذي صدّر به اطروحته الرد على بعض الآراء حول الشيعة والإمامة الواردة في كتب ابن حزم والشهرستاني والمقريزي وغيرهم، والرد على الرحالة العربي (ابن بطوطة) في قوله: انه سمع أهل الحلة يقولون: ان الإمام الثاني عشر قد اختفى بعد دخوله أحد المساجد. (٢) وقد استند الدكتور جواد علي في ردّه على ابن بطوطة على حقائق تأريخية بقوله: (ان هذه الآراء تحملنا على الظن بأن المؤلفين لا علم لهم باختفاء الإمام الثاني عشر، ولا بإنشاء مدينة الحلة، وما قالوه عن الإمام الثاني عشر من أنه اختفى في الحلة التي لم تكن موجودة آنئذ أي سنة ٢٦٠ للهجرة، وإنما مدينة الحلة انشأها صدقة بن منصور المزيدي في سنة ٤٩٥ هـ /١١٠١م، وقد دعا الدكتور جواد علي إلى فحص النصوص التأريخية بدقة، والوقوف على الأخطاء والتحريفات بوحي من المعرفة العلمية. وكان الفصل الأول من أطروحة الدكتور جواد علي بعنوان: (فكرة الإمامة عند الإثني عشرية) وقد استند في دراسته الى مصادر الإمامية المعتمدة ومنها كتاب (الكافي) للشيخ الكليني (٣٢٩هـ) وكتاب (اكمال الدين) للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ). وأخذ الدكتور جواد علي نصوصاً من مراجع حديثة ومصادر منها كتاب (مجالس المؤمنين) للتستري وكتاب (منهج المقال) للاستر ابادي محمد بن علي وكتاب (روضات الجنان) للسيد الخوانساري، وكتاب (أصل الشيعة وأصولها) للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكتاب (ضحى الاسلام) للأستاذ أحمد أمين، وكانت دراسات علماء الرجال الذين كتبوا في الغيبة، وأخبار الإمام المهدي عليه السلام وسفرائه ووكلائه قد احتلت جانباً من كتاب الدكتور جواد علي، بدءاً من القرن الثالث الهجري، وحتى القرن الرابع عشر الهجري، وقد رتب هؤلاء الرجال وفق تواريخ وفياتهم، ونستفيد من هذا العرض الكبير للمؤلفين في الرجوع إلى كتبهم عند دراسة الإمام الغائب عليه السلام وما يتصل بالغيبة. وخصص الدكتور جواد علي، الفصل الثاني من كتابه للأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وجاء بعنوان: (الخلفاء الحقيقيون للنبي). وقد أوضح فيه سياسة الإمام علي عليه السلام فيقول: (كان الإمام علي رجلاً، صاحب مبادئ صارمة لا تتغير، وكان منها الورع واحتقار الملذات الدنيوية).(٣) ثم استعرض سيرة الأئمة عليهم السلام، الواحد بعد الآخر وبإيجاز ملحوظ، وقد وقف على الجانبين العلمي والاجتماعي بشيء من التفصيل، وعند حديثه عن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، لم يوضح دور السلطة العباسية في التضييق عليهما، وقد كان غامضاً في عبارته التي ألمح فيها عن طبيعة العلاقة بينهما وبين السلطة الحاكمة فيقول: (لقد أدت مثل هذه الأوضاع إلى انعزال الأئمة خوفاً من ان تكون لهم علاقة مع الناس. وهكذا كان الإمام العاشر، الذي كانت حاشيته لا تزال بعد صغيرة جداً، وابنه الإمام الحادي عشر، يتجنب كل اختلاط بعامة الناس).(٤) وكان الأولى بالدكتور جواد علي دراسة هذا الجانب دراسة تحليلية دقيقة لكي تتوضح سر هذه العزلة المفروضة على الإمامين العسكريين عليهما السلام،(٥) بل أنه كان غريباً في قوله: (لقد تركت سياسة الأئمة المشؤومة، وعدم قيام أية ثورة ضد الخلفاء، ومواقف الأئمة المسالمة في نفوس الشيعة، خصوصاً كبار السن منهم، تركت السؤال الملهب عن نهاية الانتظار، وإحقاق الحق الذي لن يتخلى عن الأئمة تركه لا يعرف الجواب)،(٦) وقبيل ان يدخل الدكتور جواد علي في دراسة الإمام المهدي عليه السلام، وضع عدة تساؤلات منها: هل ترك الإمام الحادي عشر ولداً؟ وما هو مستقبل الشيعة من الآن فصاعداً؟ وإذا كان للإمام العسكري ولد، فلم لا يراه الناس، وأين هو؟ وقد خلص إلى القول: ان هذا الغموض أدى إلى ادعاء السيد جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام الإمامة، بعد وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد أدى هذا الادعاء إلى انشقاق فكري في صفوف الإمامية، وقد أشار إليه النوبختي في كتابه (فرق الشيعة)(٧)، وأخذ الدكتور جواد علي يقتنص النصوص من كتب المذاهب والفرق كالشهرستاني وابن حزم والبغدادي. وأخيراً العلامة المجلسي صاحب كتاب (بحار الأنوار) ولم يفضل كتابات المستشرقين في هذا الجانب، وفي مقدمتهم (جولدتسيهر، ودونلدسن)، ويبدو ان الدكتور جواد علي قد اعتقد بصحة مولد الإمام المهدي عليه السلام، عام ٢٥٥هـ وفق رواية السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام (وهي أخت الإمام الهادي عليه السلام)، وتعد رواية السيدة حكيمة ذات أهمية تاريخية لأنها قد عاصرت حدث الولادة زمانياً ومكانياً، وقد شكك في بعض النصوص المستمدة عن الشيخين الصدوق والطوسي، ولعل هذا يفسر لنا سطحية العقيدة لدى الدكتور جواد علي، وعدم تغلغل فكرة الإمامة في أعماقه، وكان عليه غربلة النصوص وتمحيصها وفرز غثها عن سمينها. وكان الفصل الثالث من كتاب الدكتور جواد علي بعنوان (الغيبة والرجعة)، وقد كرسه لموضوع الغيبة وخصائصها في حالتيها (الصغرى والكبرى)، وقد أورد نصوصاً من كتاب (قصص العلماء) للتنكابني محمد بن سليمان حول ظهور الإمام الغائب عليه السلام، وأشار إلى السرداب الذي يشكل جزءاً من بيت الإمام الذي ولد فيه، وعاش الإمامان الهادي والعسكري في أروقته بقوله: (وقد أساء السنيون تقديس الشيعة، عندما ظنوا ان الشيعة يقصدون اختفاء الإمام في هذا السرداب، ومع مرور الزمن انتقل سوء الفهم إلى رواية الشيعة أنفسهم)(٨) وقد أصاب الدكتور جواد علي في رأيه، إذ أن المصادر السنية قد روجت موضوع غيبة الإمام المهدي عليه السلام في سرداب داره، وقد استفادوا من هذه الحكاية المزعومة حتى انه تسر بت لأذهان

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

البسطاء من الشيعة، وقد توصل الدكتور جواد علي إلى رأي مفاده: ان الشيعة يقولون ان الإمام عليه السلام اختفى من السرداب ولم يقولوا انه اختفى في السرداب وأقام فيه على ما يذهب إليه أهل السنة.(٩) وبما أن الفصل الثالث من الكتاب قد تركز على الغيبة والرجعة فإن المؤلف قد استفاد من بعض المصادر التي تشير إلى عبد الله بن سبأ، وأخذ في تبيان الأثر اليهودي في الفكر الإسلامي، كما في مؤلفات جماعة من المستشرقين من أمثال: فريد ليز، ووليم موير، ونولدكة، ويوليوس فلها وزن، ولم نجد الدكتور جواد علي مشككاً في حقيقة عبد الله بن سبأ أو اعتبارها أسطورة كما تشير إلى ذلك بعض المصادر، وعند حديثه عن الرجعة قال: ان فكرة الرجعة قد لعبت دوراً كبيراً عند معظم الفرق الشيعية حتى الاثنى عشرية: زاحمتها أيام الغيبة الصغرى فكرة الاختفاء، وجعلتها الاثنا عشرية في المقام الثاني. والفكرة الرئيسة للرجعة والغيبة هي في الأصل واحدة.(١٠) وكانت معظم النصوص التي اعتمدها الدكتور جواد علي عن الرجعة مقتبسة من كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ) وقال: (والرجعة كما نحب ان نؤكد ليست مذهباً دينياً، وإنما تقع في نفس المرتبة مع رجعة المسيح أو الدجال عند أهل السنة،فكما ان الاعتقاد برجعة هؤلاء الرجال الثلاثة ليست عقيدة ملزمة عند أهل السنة، كذلك لا يعرف الشيعة عقيدة دينية في الرجعة، ويختلف الأمر في الغيبة في اختفاء الإمام الثاني عشر تماماً على الشيعي ان يعتقد بغيبة الإمام الثاني عشر، لأن العالم لا يمكن ان يكون بدون امام)،(١١) وخص الدكتور جواد علي لسفراء الإمام عليه السلام دراسة تاريخية تضمنت الفصل الرابع من كتابه بعنوان (السفيران الأولان للإمام الثاني عشر)، ومن ثم تناول السفيرين الثالث والرابع، وقد امتدت السفارة بين (٢٦٠ ـــ ٣٢٩هـ) وسميت هذه الفترة باسم (الغيبة الصغرى)، وكان الإمام المهدي عليه السلام خلالها يقوم بتدبير الأمور عن طريق سفرائه، وهم نوابه في قضاء حوائج الناس الدينية والاجتماعية، وقد اثنى الإمامان الهادي والعسكري عليهما السلام على السفير الأول أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، فقد كان يقبض الأموال نيابة عن الإمام الغائب وفي ظرف سياسي عصيب شهدته مدينة سامراء، في الوقت الذي ادعى فيه السيد جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام، الإمامة كذباً وزوراً في محاولة لتسلم الأموال، ولما فشل في دعوته، أخذ يشجع السلطة على مطاردة الشيعة، وقد أعطى الدكتور جواد علي مساحة كبيرة في هذا الجانب، لأنه يمثل مرحلة تاريخية خطيرة في الفكر الإمامي، وموقف السلطة العباسية من السفراء والشيعة، ووصف السفير الأول بقوله: (لعل السفير الأول كان يخفي نشاطه الوظيفي عن الحكومة، وهو إجراء كان بارعاً فيه حتى ان الأخبار عنه كانت قليلة جداً، فنحن لا نعرف الوسائل التي كان يستعملها لمكافحة أعدائه في الداخل والخارج)(١٢) وكان الدكتور جواد علي مصيباً في تشخيصه إذ ان الحقبة الزمنية التي استغرقها السفير الأول بين (٢٦٠ ـــ ٢٨٠هـ) كانت عصيبة وغامضة لدى الناس، الا ذوي العقيدة الإيمانية الراسخة، وقد استخدم المؤلف نصوصاً من كتاب (إكمال الدين) للشيخ الصدوق، وكتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، ولما تولى السفير الثاني أبو جعفر محمد بن عثمان العمري منصب السفارة بعد أبيه، كان في الساحة رجال قد ادعوا السفارة، ولكنهم اخفقوا في ادعاءاتهم، وقد وضع الدكتور جواد علي بعد حديثه عن السفير الثاني موضوعاً جانبياً بعنوان (الوضع السياسي في فترة الغيبة الصغرى) أوضح فيه حالة الشيعة، في

كان في البدء قد أشار إلى الفقيهين الكبيرين السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، لما قدماه من إرشادات علمية للمؤلف في اثناء كتابة الأطروحة المذكورة، والتأشير على المصادر الشيعية والإسلامية الأخرى التي يمكن الاستفادة منها. وقد ذكر الدكتور جواد علي ان اطروحته هي الأولى في الجامعات الأوربية تناولت موضوع الإمام المهدي

عهد السفير الثاني، وعاد ثانية إلى دراسة مهام هذا السفير بقوله: (كان السفير الثاني يؤدي مهمته بنشاط، ويراسل وكلاءه بجد واجتهاد، ويوجه إليهم توقيعات عن إسناد الإمام المنصب إليه بواسطة رسل من الشيعة)،(١٣) وهذا أمر طبيعي إذ ان مهمة السفير كانت في غاية الخطورة والأهمية. فإن الكتمان الشديد، والسرية الصارمة، تسايران أعمال السفير، وأعوانه الذين يرشدون الشيعة إليه في مدينة بغداد، وكشف الدكتور جواد علي عن المهام الإدارية والاقتصادية للسفير الثاني الذي امتدت سفارته بين (٢٨٠ ـــ ٣٠٤هـ) ومن ثم تأتي دراسة السفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح، فقد أعطى المؤلف صورة مختصرة عن أسرة (آل نوبخت) التي ينتمي إليها، وسكناه بمدينة بغداد، وشيئاً عن علميته ونشاطه الاجتماعي، وكان أهم حدث وقع في أثناء سفارته هو ادعاء الحسين بن منصور الحلاج، السفارة بين (٢٩٦ ـــ ٣٠٩هـ) ويبدو أن هذا الإدعاء كان خطيراً على السلطة العباسية من جانب، وعلى الفكر الإمامي من جانب آخر، فقد استغرق هذا الإدعاء جزءاً من عهد السفير الثاني، وجزءاً من عهد السفير الثالث، وقد تجرأ أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني بالإدعاء بأنه سفيرٌ ووكيلٌ عن الإمام الغائب عليه السلام، وقد ساعدت هذه الأوضاع الفكرية المضطربة على تصاعد النشاط القرمطي في بغداد وغيرها من بلدان العالم الاسلامي، وقد كان ذريعة للسلطة العباسية من توجيه ضربات للشيعة، ولم يسلم منها السفير الثالث الحسين بن روح الذي أودع السجن مدة خمس سنوات، ولما أطلق سراحه، عاد إلى نشاطه الفكري حتى وفاته عام ٣٢٦هـ. وقد خص الدكتور جواد علي شخصية محمد بن علي الشلمغاني بالدراسة والتحقيق بحيث شملت الفصل السابع من كتابه، فقد كان الشلمغاني يمثل حقبة زمنية من الصراع الفكري في الدولة العباسية، ولكنه لم يصمد أمام الأحداث في بغداد، فهرب إلى الموصل، وفيها القي القبض عليه في الوقت الذي كان السفير الثالث الحسين بن روح سجيناً، ولما علم بأخبار الشلمغاني، كتب توقيعاً عام ٣١٢هـ، لعن فيه الشلمغاني لكذبه وافتراءاته ومزاعمه، ويقول الدكتور جواد علي: (دون خوف من العقاب، ومن غير أن يأخذ سجنه بعين الإعتبار).(١٤) ويبدو أن توقيع الحسين بن روح هذا كان في غاية الأهمية، لأنه حمل أسماء من ادعى السفارة عن الإمام الغائب عليه السلام قبل ادعاء الشلمغاني. وقد أجاد الدكتور جواد علي في دراسة الشلمغاني وتبيان آرائه، وعلاقاته بالأمراء والسلاطين والوزراء، وكشف عن وقائع محاكمته وإعدامه مع ابن أبي عون، وإحراق جثتيهما، وذر رمادهما في نهر دجلة، ولكن هذا الإجراء لم يكن مانعاً من ادعاء الغني البصري الجبار من ادعاء السفارة وأنه خلف الشلمغاني، وان روحه قد حلت فيه.(١٥) وقد بقي البصري على قيد الحياة في عهدي السفيرين الثالث والرابع إذ أنه توفي بمدينة بغداد عام ٣٤٠ هـ. ويستفاد من هذه الحالة ان الفكر الإمامي قد تعرض لمحنة فكرية خطيرة في عهد السفيرين الأخيرين، وقد ساعدت هذه الحالة على بروز علم الكلام في مدينة بغداد، واتساع دراسة علم الحديث الشريف، ولذا خصص الدكتور جواد علي فصلاً من كتابه بعنوان: (تطور علم التوحيد عند الشيعة بشكل عام قبل الغيبة الصغرى وخلالها) فتحدث عن الأصول الأربعمائة في علم الحديث عند الشيعة الإمامية. ودور الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام في النشاط العلمي والفكري في عصرهما، وتعميق مدرسة أهل البيت في أذهان المجتمع الإسلامي، وكانت مسألة الإمامة في مقدمة المباحث الكلامية التي شغلت الفكر الإسلامي، وقد أعطى الدكتور جواد علي لتلاميذ الإمام الصادق عليه السلام، مساحة من كتابه مستعيناً بالمصادر الرجالية والكلامية عند الإمامية، ويقول: (يعتبر زمن الغيبة الصغرى من وجهة نظري، بداية للتطور المنطقي لعلم الكلام الشيعي، ليصبح نظاماً متكاملاً متميزاً)،(١٦) وفي الواقع ان الفكر الكلامي عند الإمامية قد بدأ قبل عصر الغيبة الصغرى، وأنه يعود إلى القرن الثاني للهجرة، وفي عهد الإمام الصادق عليه السلام وتلاميذه الذين كانوا ينوبون عن الإمام في بعض المناظرات الكلامية والعقائدية. وتحدث الدكتور جواد علي عن المعتزلة وآرائهم الكلامية، والتقاء بعض أفكارهم بالشيعة الإمامية، وتناول مفهوم التقية وعمقها التاريخي، وخصص لعلم الحديث دراسة موسعة ضمن الفصل الثامن من كتابه بدءاً من عصر الغيبة الصغرى، فتحدث عن الشيخ الكليني وكتابه (الكافي) ومن جاء بعده من المحدثين، كما تناول الفقيهين: الشيخ الحسن بن عقيل العماني، والشيخ محمد بن أحمد بن الجنيد، وهما من معاصري الشيخ الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ. وقد عاد الدكتور جواد علي إلى دراسة السفير الرابع، وهو علي بن محمد السمري في الفصل التاسع من كتابه بعنوان (نهاية الغيبة الصغرى) وقد كانت سفارته بين ٣٢٦ ـــ ٣٢٩هـ، وبوفاته تبدأ الغيبة الكبرى كما في كتاب الإمام الغائب عليه السلام، الموجه إليه وجاء فيه: (فاجمع أمرك، ولا توصى إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره).(١٧) ولكن هناك من ادعى السفارة بعد وفاة السفير الرابع، دون الإعتماد على توقيع الإمام المهدي عليه السلام الذي نص على انتهاء عصر السفارة، وكان أبو بكر البغدادي أحد الذين ادعوا السفارة، ويبدو ان الناس قد آمنوا بأن السفير الرابع كان آخر السفراء، ولذلك لم تلاق حركة أبي بكر البغدادي رواجاً في المجتمع البغدادي، بل أنه لعن وتبرأ منه الناس، وخصص الدكتور جواد علي دراسة لمدافن السفراء الأربعة بمدينة بغداد، وقد استقى نصوصه من كتاب (الغيبة) للشيخ الطوسي، الذي حدد مواقع مقابرهم، وتناول بعد ذلك (نواب السفراء) وقد أشار الدكتور جواد علي إليهم بالقول: (ومن الصعب في بعض الأحيان الحكم على ما إذا كان النواب أو الوكلاء قد تم تعيينهم من قبل الإمام الحادي عشر، أو أن ذلك لم يتم الا على يد السفير الأول).(١٨) ومن المحتمل ان السفير كانت له صلاحيات تعيين الوكلاء في المدن والقصبات وقد كانت دراسة الدكتور جواد علي لهؤلاء مختصرة ومقتضبة وذكر بعض مؤلفاتهم ومواقع وجودهم في العراق وفارس وآذربيجان وغيرها، وكان بعض الإماميين قد أطلق لفظ (السفير) على الوكلاء أو النواب، وختم الدكتور جواد علي كتابه بالفصل العاشر بعنوان (الغيبة الكبرى) وقد أشار إلى توقيعات الإمام الغائب عليه السلام في هذه الفترة، معتمداً على نصوص الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وذكر ان الفقيه أبا يعلى حمزة بن عبد العزيز المعروف بسلار الديلمي (ت ٤٦٣هـ) قد اسقط صلاة الجمعة في عصر الغيبة الكبرى، وكان يقف من بعض التوقيعات موقف المتشكك، وقد سأل العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني عن حقيقة التوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي عليه السلام، فأجابه قائلاً: (أنه لا يصح أن يعتبر المرء كل التوقيعات صحيحة) وقال: ان بعض التوقيعات التي وصلتنا أنها تنسب إلى السفير الثالث الحسين بن روح، وانها تتصل بالشرع.(١٩) وقدم الدكتور جواد علي نماذج من التوقيعات وهي عبارة عن أسئلة وجهت إلى الإمام المهدي عليه السلام، وقد أجاب عنها. وكان بعضها يدور حول أحوال الشيعة، وبعض التقولات التي تحدد ظهور الإمام عليه السلام كقوله: (كذب الوقاتون)،(٢٠) وكان بعض الوكلاء يرسل الأسئلة إلى السفراء، وهم بدورهم يوصلونها إلى الإمام عليه السلام للإجابة عليها، وقد استقى الدكتور جواد علي من كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي كثيراً من التوقيعات وقد ختم كتابه بعنوان (عودة المهدي ودولته) وقد أشار إلى الأحداث التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام ومنها الصراع بين السفياني والخراساني، وأن ظهور الإمام عليه السلام يؤدي إلى إنهاء الصراع بينهما، وعند ذلك يؤسس حكومته المرتقبة، وختم الدكتور جواد علي كتابه بنتائج علمية توصل إليها بحثه الجامعي منها: (نريد ان نؤكد مرة أخرى اننا لا نبحث أفكار الغيبة الا بوصفها ظاهرة تاريخية ـــ عقائدية. وليس عقيدة دينية، فلا ينتمي من الموضوع كله إلى ميدان العقيدة سوى وجود الإمام الثاني عشر المهدي ورجعته، وعلى العكس من ذلك فإن عمل السفراء والهدف من إقامة دولة شيعية، وكذلك إنتظار المنقذ، كل ذلك هو الخطوة الحاسمة والباعث المحرك خلال التاريخ الأرضي لهذه الدائرة الشيعية الخاصة).(٢١) وكان الدكتور جواد علي قد ابتعد عن الجانب الغيبي في دراسته الجامعية هذه، وان كتابه بحاجة إلى دراسة منهجية دقيقة، إذ أن النصوص التي اعتمدها لم يصل بعضها إلى إجماع الإمامية، وان بعضها مستمد من مصادر إمامية متأخرة، إضافة إلى كتب الفرق والمذاهب غير الإمامية. وقد ألقت دراستنا ضوءاً على آراء أستاذنا الراحل الدكتور جواد علي الذي كشف لنا جوانب دقيقة من كتابه الكبير: (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) يوم كنت طالباً قبل أكثر من ربع قرن من الزمان، وقد أثارت منهجيته في دراسة التاريخ، طريق العلم والمعرفة للأجيال التي تتلمذت عليه.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

المؤرخ الكبير جواد علي

ناقش الزعيم الألماني هتلر وأفحمه في أصل القومية

حميد المطبعي

○ من اشهر المؤرخين العراقيين في عهد جواد علي وكانوا يمثلون مدارس في التدوين وكتابة التاريخ...؟

-١- محمد امين زكي (١٨٨٠- ١٩٤٨) المؤرخ الكردي الذي وضع المقدمات الاولي لمدرسة كردية في كتابة التاريخ الكردي..

٢- عبد الرزاق الحسني (١٩٠٣- ١٩٩٧) مؤرخ الدولة العراقية الحديثة ١٩٢١- ١٩٥٨..

٣- علي الخاقاني (١٩٠٩- ١٩٧٩) مؤرخ التراث الشعبي ومؤرخ شعراء العراق.. ومؤرخ (الادب المنسي)..

٤- طه باقر (١٩٢١- ١٩٨٤) مؤرخ العراق في ضوء علم الحضارات والمكتشفات الاثارية..

٥- علي الوردي (١٩١٣- ١٩٩٥) مؤرخ ومحلل طبيعة شخصية الفرد العراقي..

٦- عبد العزيز الدوري (١٩١٧- .....) مؤرخ ومحلل النظم الاسلامية والتاريخ العباسي..

٧- صالح احمد العلي (١٩١٨- ٢٠٠٣) مؤرخ ومحلل تطور الحركة الفكرية في صدر الاسلام وفي تاريخ العرب قبل الاسلام..

٨- محمود شيت خطاب (١٩١٩- ١٩٩٨) مؤرخ التاريخ العسكري وتاريخ قادة الفتوح الاسلامية..

٩- كمال احمد مظهر (١٩٣٧- .....) واضع اسس مدرسة التاريخ الكردي المعاصر.. ومؤرخ تاريخ العراق المعاصر...

○ أيهم أفضل؟ وأين تضع جواد علي...؟

- لكل جمهوره، يقل أو يكثر بحسب طبيعة المراحل السياسية، أما موقع جواد علي فهو دائماً على خارطة المؤرخين العالميين..

○ ما فلسفته في كتابة التاريخ...؟

- يجمع التاريخ ووثائقه ثم يبوبه ثم يبدأ وصفه للأحداث ويحللها في ضوء بصيرته العلمية القائمة على تحليل الحدث التاريخي واستنباطه..!

○ وما طبيعة منهجه...؟

- يقوم منهجه في تدوين التاريخ على:

١- تمحيص وقائع الماضي..

٢- يجري خياله العلمي على المعلومة التاريخية بتؤدة.

٣- يجادل النتائج بحكمة الخبير المحايد الشديد مع نفسه.

○ هو من هذه الأرض ومن هذه الأمة فلماذا يقف موقف المحايد في كتابة تاريخ أمته..؟

- هو مؤرخ كبير وعالمي وغاية المؤرخ الكبير أن لا ينصب نفسه قاضياً يصدر الأحكام القاطعة، فمثل هذه الأحكام قد تقود الى الآراء المزاجية التي- بدورها- تضلل أو تزيف الحقيقة أثناء التدوين، فالحيادية عنده تعني: النزاهة وهي الموضوعية عند الغرب الأكاديمي..؟

○ وهل يعني ذلك أنه التزم الأكاديمية في مؤرخاته..؟

- كان يمزج بين المنهج الأكاديمي وعلم البصائر الذي يتمتع به في داخله، فقد فطر على الإحساس العميق في التقاط الخفايا أو بواطن التاريخ، وكانت له قدرة استكشافية غرائبية في استحضار التاريخ البعيد وكأنه يعيش فيه بين لحظة وأخري.. وبخياله المتشعب الحواس استطاع أن يحل رموز وعقد الحقب الاولى في تاريخ العرب قبل الإسلام..!

○ كيف خرج تاريخ العرب بين يديه..؟

- ١- في كل ما تمتع به، من حدة النظر وقوة العزيمة وشهادة الحق، صار يجتهد على سباقه المعرفي، فلا يلتفت يمنه أو يسرة إذا هو دون حدثاً، أو كتب فصلاً في تاريخ شخصية مهمة في التاريخ، فهو من هذه الحرية الإجتهادية التي غلفت منهجه جعلته يبتعد عن التأثر بأية نظرية من نظريات التاريخ، وتخلص أيضاً من الهوس القومي الذي غرق فيه آخرون وراحوا يكتبون حلقات تاريخ العرب إعتماداً على الغلو في الرس والعرق والغرور الحضاري أو القومي، فهو كان يخطئ ويصوب إستناداً الى خبراته المتراكمة ومعارفه الإجتهادية العامة..

٢- ووصلت شجاعته الى حد تخطئة مئة مؤرخ كبير في قضية تاريخية أجمعوا على صحتها، وهو قال لا.. ليس ذلك صحيحاً، وكان يشكك في أمور أشبه بالمقدسة عند المؤرخين أو العوام ولا يبالي من لمزات الكبار أو صراخ الصغار، ومع ذلك تواضع وقال (أنا طالب علم) دون أن يتحذلق أو يتصنع أو يتدنى في تواضعه، وعندما تقرأ جزءاً من تواريخه عن العرب تحس أنك أمام مؤرخ من قائمة مؤرخي عصر النهضة في إيطاليا أو فرنسا وهو يستحق قرناً من التخلف وقرناً من الإفتراء وقروناً من خلال الكتب المؤرخة..!

٣- كان يعيد صياغة تاريخ العرب القديم بمغامرة لا مثيل لها في كل كتب التاريخ، فهو أولاً أنزل المصادر الكبري من سماء الأسطورة الى أرض الهشاشة، وقال تلك مصادر ضعيفة ولا تستحق أن نسميها مصادر اولى، ثم هو ثانياً كفر مؤرخين كبارا لأنهم تلاعبوا بحرمة الوقائع، وثالثاً نجح في أن يقدم أدلة على التاريخ الصحيح، بالوثيقة أولاً، وبالتعليل المنطقي ثانياً، وبالفقه الإستدلالي ثالثاً وبروحية التاريخ المقارن رابعاً..

○ غامر نعم.. إجتهد نعم.. لكن لكل ذلك خصومه، فمن هم خصوم جواد علي..؟

- ١- مؤرخون قوميون طعنوا به ووصفوه بالـ (جماعة) يجمع الوثائق بعضها على بعض ليستخرج منها النتائج، وشبهوه بحاطب ليل.. يراكم معلومات فوق معلومات دون تحليل، ويقصدون عدم إنحيازه للعرب سواء كان العربي ظالماً أم مظلوماً، إنما هو قال لهم: الظالم هو الظالم بوثيقة والمظلوم هو المظلوم بوثيقة أيضاً..

٢- أخذ عليه مؤرخون عرقيون إنسجامه مع المستشرقين الأجانب، إذ كان عليه أن ينقدهم جميعاً لأنهم (تبشيريون مشبوهون) بينما هو قال للعرقيين مهلاً مهلاً، فأغلب المستشرقين كتبوا تاريخنا بدافع العشق أو للعلم ذاته..

٣- وقسم من مؤرخي (العصبية) إتهموه بالشعوبية كونه شكك بقحطان (بعدم وجوده في الوثائق القديمة) وبغيره بعدم توفر أدلة ومستندات بوجوده، ثم قال المتعصبون أن جواد علي يشبه مؤرخاً أجنبياً في تاريخه عن العرب القدامي فلم ينتصر لبداوتهم وكرمهم وثاراتهم، ورد على هؤلاء بأن لهم ديناً وله دينا، دينهم الإنحياز الأعمي ودييني الحقيقة بلا مساحيق..!

○ أي كان صائباً: هو أم خصومه..؟

- لخصومه ذرائع ولهم عذر، ولجواد علي مبرراته في أن يكون التاريخ علماً، والمهم أن لا يقوم التاريخ على عصبيات، فإن قام على هذه الذرائع مشت في ظله دول الطوائف..!

○ ما الدوافع التي جعلته مؤرخاً...؟

- ١- كانت تسكن بالقرب من بيته (قابلة للتوليد) ورأته يوماً مع أمه وهو في السابعة من عمره، وقالت: (هذا الولد يصير كاتباً كبيراً) وسألت أمه (كيف عرفت بذلك؟) قالت القابلة أم مهدي: (من هذه الأخت) أي الندبة التي على يده اليمنى وهذه العلامة كما ذهبت القابلة تدل على أن صاحبها سيكون كاتباً كبيراً..

وظلت العبارة ترن في ذاكرته وتزرع فيه فكرة التاريخ..

٢- وهو في المرحلة الإبتدائية ألف كتاباً (التاريخ العام) ١٩٢٧ وأثار به دهشة الصحافة وقدمت إليه هدايا كثيرة منها (ساعة ثمينة) قدمها إليه وزير الأوقاف (أمين عالي باشا أعيان) ونشر الكتاب محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية مقابل حق تملك (١٢٠) روبية.. وكان هذا الكتاب دافعاً قوياً له في السير بطريق الذاكرة التاريخية..

٣- عندما درس التاريخ في الجامعة الألمانية ١٩٣٣ إلتقى أساتذة التاريخ الكبار وحاورهم في أصل منشأ التاريخ ونشرت محاوراته في الصحف الألمانية، ونازل وساجل مؤرخي النازية بروح قومية حضارية متجددة وقرأ الزعيم الألماني هتلر بعض مقالاته واجتمع به مرات عدة، ودعاه هتلر إلى مؤتمر الحزب النازي وأجلسه بقربه مرحباً به مؤرخاً عربياً واسع الآفاق لكن جواد علي قام يجادل هتلر (بعيداً عن عواطف الترحيب) معتمداً رأي الألمان النازيين بشأن أصل القوميات.. وسمع اول مرة في هذا المؤتمر: (إنك مؤرخ عالمي)، فبقيت العبارة تزكي فيه حلم أن يؤرخ كبيراً كبيراً..!

○ وما طبيعة الحوار الذي جري بين هتلر وجواد علي..؟

- هتلر: ما الخطأ في تفسيرنا للقومية..؟

جواد علي: لأنكم تقيمون تعريف القومية على الدم والأرض..

هتلر: وما يمنع ذلك..؟

جواد علي: هذا تفسير عاطفي للتاريخ.. وبالتالي هو تفسير قسري!

ثم قال جواد علي لهتلر: إنتظر مني مقالة سأنشرها في الصحف، ونشرها وملخص ما جاء فيها أن النازيين يرون أن التاريخ القديم والحضارة البشرية تبتدئ من الإغريق ثم الرومان والشعوب الآرية، وهم يجعلون حضارات الشرق الأدنى من فضلات تلك الحضارة الآرية، وإن الجنس السامي مقلد محاك ليست له قابليات على الإنتاج والإبداع..!

○ أي بيئة عاش فيها جواد علي..؟

- كانت أسرة ابيه تسكن محلة الشيخ بشار بالكرخ في بغداد، وكانوا يشتغلون في التجارة والبستنة، وبعد زواج ابيه إنتقلوا إلى دار جده لأمه (خليل الشهربلي) الواقعة في دربونة حسين الصراف في مدينة الكاظمية، وفي تلك الدار ولد جواد علي وتخلق بأخلاق الكاظمية..

○ وما مراحل ومصادر دراسته..؟

- أكمل الإبتدائية في مدينته وتأثر بسلوك معلمه فاضل الجمالي (رئيس الوزراء الأسبق) ودخل كلية الإمام الأعظم ودرس فيها جزءاً من الثانوية متأثراً بأستاذه حمدي الأعظمي ثم درس الجزء الآخر في الثانوية المركزية ودخل دار المعلمين العالية ١٩٢٩، وعندما تخرج فيها ١٩٣٣، رحل ببعثة لدراسة التاريخ في القسم الشرقي بالجامعة الألمانية فدرس التفسير وعلوم العربية والجغرافيا- خريطة الشريف الإدريسي..

وفي سنة ١٩٣٦ إنتقل إلى جامعة (هامبورغ) وتعرف فيها على تاريخ اليمن والعرب القدامى وكرس وقته لدراسة الخط المسند وبه فتح أسرار الأنساب العربية وممالك العرب الأولى.. وعبر جميع دراساته في ألمانيا تحاور وأفاد من أساتذته الألمان وكانوا أيضاً مؤرخين كباراً لهم شهرة عالمية ومنهم: (ميثوخ) و(شيدر) و(بيورك) والمؤرخ الشهير (شتروتمن) المختص بفقه الزيدية وتاريخ اليمن وخارج الجامعة أقام جواد علي علاقات وثيقة مع المؤرخين الألمان الكبار ولاسيما مع المؤرخ (راتجن) الذي كلفه الإمام يحيي بالقيام بأعمال الحفر والتنقيب مع زميله (هيرمان فون ويزمن) سنة ١٩٢٨.

ونال الدكتوراه بامتياز وسنه ١٩٣٨ عن أطروحته (المهدي: الإمام الثاني عشر وسفراؤه الأربعة).. ولم يطبعه لعلة في ظروف يومئذ، وبعد عودته عين في دار المعلمين العالية استاذا..

○ ما أهم مؤلفاته المطبوعة..؟

- كل كتاب طبعه كان نقلة في الكشف عن الصفحات الحقيقية في التاريخ، لكنه ظهر عالماً وخبيراً في معالجة التاريخ القديم في كتب معينة هي:

١- تاريخ العرب قبل الإسلام، في ثمانية مجلدات طبع الأول ١٩٥١.

٢- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام بعشرة أجزاء طبع الأول ١٩٦٨، والعاشر ١٩٧٤.. وهو أوسع ما كتب في هذا التاريخ.

٣- تاريخ العرب في الإسلام في أجزاء عدة طبع واحد منها.

٤- تاريخ الصلاة في الاسلام.

٥- ومن كتبه الخطية (معجم ألفاظ المسند) وهو أشبه بكتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي..

○ هل تعطينا نموذجاً من كتابات بحقه..؟

- قال العلامة محمد بهجت الأثري: ووجدت الكلمة عنده واحدة، غير موارب، ولا مخادع ولا مراوغ ولا مخف في نفسه معنى غير معناها..!

مع حميد المطبعي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

مأثرة جواد علي في كتابة التاريخ

د. جمال حسن العتابي

صرح ثقافي وعلمي، أكتسب عراقته وأصالته لانتسابه لذاك الكيان المعروف بـ (دار المعلمين العالية) والوريث الشرعي له، الذي تخرج فيه السياب، نازك الملائكة، البريكان، عبدالجبار عبدالله، كمال مظهر أحمد، وغيرهم من الاعلام، قافلة طويلة من مبدعي ثقافة العراق لاكثر من نصف قرن هذا الصرح ضمنا منتصف ستينيات القرن الماضي الذي شهد نضج الحركة الثقافية واحتدامها، وكان عدد من أساتذة وطلبة الكلية جزءاً من المشهد الثقافي العراقي، أسهموا فيه بفاعلية، وشكلوا بعض ملامحه، وأغنوا مضامينه بالبحث والدراسة. كيف لا؟ وقمم اللغة والادب العراقيون، هم أساتذة جيل واسع وعريض. تتلمذ على أيادي هؤلاء، ونهل بشغف من معارفهم وعلومهم وهم لا يألون جهداً أن يقدموا خبراتهم وتجاربهم المعرفية الغنية لتلامذتهم بتواضع وادب نادرين

هذا الجيل من الطلبة لن ينسى مصطفى جواد، عبدالرزاق محيي الدين علي جواد الطاهر، كمال السامرائي، حسين أمين، عبدالعزيز البسام، فاضل حسين، عبدالواحد لؤلؤة، محسن غياض، حسن طه النجم،علي المياح، عبدالله الفياض وغيرهم.كائنات الملائكة، مربون، وعلماء، يحملون من غزارة العلم بقدر ما يحملون من الفضيلة والخلق النبيل والتواضع.

الدكتور جواد علي من هذا الرعيل، كنز من المعرفة غير مغلق، نهر يفيض بالعلم والموهبة، قدرة سحرية لشد الطلبة للدرس، وصرامة متناهية في القائمة، لا توفر شعوراً بالإرتياح لدى بعض الطلبة الذين يبحثون عن برهة أسترخاء أثناء المحاضرة، فطوال سنة كاملة من التعلم، لم تنفرج شفتا (أستاذنا) عن أبتسامة خفيفة، ولم (يرتكب) خطأ يوماً ما في إطلاق مزحة (تفسد) أجواء المحاضرة الجادة، ولم يسمح كذلك البتة بسماعها من الطلبة بما يعكر او يشوه تلك الاجواء فأي طراز من العلماء هو جواد علي ولاية نماذج من الرجال ينتمي؟

جرى التقليد في تتبع آثار هذا الطراز من الشخصيات، التعريف بسيرته الذاتية، وتسجيل مؤلفاته، والاشارة الى شهادته والجامعة التي تخرج فيها. فالرجل ليس بحاجة الى تعريف الا أننا نريد أن نقلب هذه المعادلة، ونتجاوز هذا التقليد الذي دأب عليه الدارسون والباحثون ومتتبعو سير الرجال، بالاشارة والتنبيه أولاً وقبل الخوض في دراسة منهجه البحثي، الى ضرورة الالتفات الى هذه الشخصية بما تستحقه من اهتمام وعناية من قبل المؤسسات العلمية والثقافية في العراق وخارجه، لما قدمه هذا العالم الكبير من منجز فكري في البحث التأريخي، يعد مفخرة كبيرة للحركة الابداعية العراقية والعالمية، ولما تميز به من وفرة بالانتاج، وجدة في الافكار وحضور علمي متميز، واسلوب خاص في الدراسة والبحث، مع وعي متنور للتأريخ، غير منحاز، وهي سمات المؤرخ ألاصيل، الموضوعي، المتجرد والباحث عن الحقيقة حيثما، تكون مطوية في زوايا النسيان.

وبناء على ذلك يقع على جميع المؤسسات الثقافية والعلم ومراكز البحوث، ووزارة التعليم العالي وجامعاتها، واتحاد المؤرخين العرب والعراقيين، مسؤولية كبيرة، تتمثل بجمع مؤلفاته، واعادة طبعها.

لان لها من الاراء والخصوصية في الاسلوب ورصانة وعمق المضمون، ما يقتضي العمل الجاد لتحقيق هذا الهدف ومن أجل أن نتذكر على الدوام جواد علي، وتبقى صورته شاخصة وحية في عقولنا ووجد أننا، لابد أن نحيي ذكرى وفاته، لا بكلمات التأبين والرثاء، إنما بالبحث والدراسة. والدعوة لتنظيم حلقات دراسية تتناول جهده الفكري الثر، وحبذا لو التفتت تلك المؤسسات باطلاق اسمه على معلم من معالم الفكر والثقافة في العراق.

إن مأثرة جواد علي الكبرى والرائعة، هي بحثه الرصين في (المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام)، وسبقه (تأريخ العرب قبل الاسلام). بأكثر من (٢٠) مجلداً للمؤلفين. درس فيهما المجتمع العربي كهيئة اجتماعية كون تنظيمها الداخلي مجموعة من الروابط والعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والقبلية والفكرية المتنوعة.

وعلى الرغم من أن جواد علي نهل من مصادر التأريخ الاول، واعتمدها بشكل أساس في بحثه، لا سيما كتب السير والأنساب وتراجم الرجال، وكتب التأريخ العام، لمؤرخين كبار، كالطبري، واليعقوبي، والمسعودي، والدينوري وأبن قتيبة، وأبن الاثير، وأبن كثير والسيوطي، فضلا عن كتب البلدانيات والمرويات الادبية، ألا أنه يقدم لنا في النهاية، خلاصة هذا الجهد المثابر الذي ابتناه بابداع وتمكن، أراد أن يقول فيه: أن المجتمع العربي يتكون من الناس الذين يحققون الانتاج المادي والروحي، ومن العلاقات الانتاجية الاجتماعية والاقتصادية، وتمكنوا من صنع حياتهم بنسيج خاص لا يخلو من مؤثرات خارجية. هي نتيجة تفاعلهم بمنجزات حضارية ليست بعيدة عن محيطهم، على الرغم من كل حالات التصحر والجفاف والقسوة التي طبعت حياتهم وزادتها خشونة.

يريد جواد علي ايصال رسالة تكشف عن مجتمع لا يمكن له ان يعيش مجرداً، مثلما لا وجود لإنسان مجرد، وعلى الرغم من كل الاختلافات فلدى كل مجتمع خصائص تميزه عن باقي المجتمعات.

فالانسان في ارض شبه جزيرة العرب، غير منعزل عن الوسط الجغرافي الذي يتضمن الانهار والبحار والغابات والحقول والصحارى والمناخ والثروات الطبيعية والنباتات.

كل ذلك تجده مبثوثاً في سفر جواد علي "المفصّل "، لأن حياتنا خارجه غير ممكنة، فتاريخ الطبيعة وتاريخ المجتمع مترابطان، ويؤثر أحدهما في الآخر، والبشرية منذ بدء ظهورها كيفت الطبيعة المحيطة بها.

ابتدأ جواد علي مفصّله بأصل الأقوام الأولى التي سكنت شبه الجزيرة العربية، بدراسة انسابها، وديانتها القديمة، وقبائلها، ولغاتها، وآدابها وسلوكها، ونظامها السياسي. وعرّج على دراسة حياتها الاقتصادية "الزراعة، التجارة، الصناعة" كما بحث في حياتها الثقافية والفكرية والاجتماعية، دراسة تفصيلية معمقة، شكلت مصدراً ينطوي على غنى وثراء فريدين لا يمكن لأي باحث او مؤرخ ان يستغني عنها، او يتجاهله، بل هي تقوده في النتيجة الى الانسان في هذا الحيز المكاني، الذي وجد شرط وجوده وكشف سر انتقاله من نظام اجتماعي الى آخر اكثر تقدماً. بتغير الناس ومهاراتهم ووعيهم، وتبدل منظومة حياتهم الفكرية والاخلاقية.

ولأن جواد علي مؤرخ وعالم رصين، فلابد لمن يدرسه من ان يتحرى عوامل الرصانة في منجزه، فينظر في تفاعلها مع بعضها، ولابد من النظر في تجليات تلك الرصانة من احكام نقدية، وآليات واجراءات تستند الى شروط البحث العلمي واحكامه.وضروري – ان لم نقل واجباً – ان نتأمل ما وقف عنده المؤرخ للبحث في فلسفة اختياره التي رجحت تلك الاعمال للتعامل النقدي والمناقشة.ونحسب اننا نستطيع ان نلج عالم جواد علي او صرحه العلمي من خلال الدور الثقافي للتاريخ والمؤرخ، فتشكل سيرته وابداعه الفكري والبحث الذي كتبه، مفاتيح مهمة لولوج هذا العالم. وان ثمة الكثير مما يجب عمله في دراسة جواد علي ورصانة منجزه وهو اكثر مما تستوعبه وريقات، او حلقة نقاشية، اذ مارس دوره الفكري بأكثر من صورة ووسيلة عن قناعة تامة اعلنها في اكثر من مناسبة.لقد اختار جواد علي عملاً وجد فيه امتداداً في ساحة واسعة من تاريخ العرب، ولو أجملنا ملامح مشروعه الفكري لرأينا كم فيها من نوافذ ودروب مفتوحة على قضايا التاريخ والمعرفة والادب. فلا نرى في اختيار المؤرخ كتابة هذا التاريخ مجرد مسألة ذوقية، او محصلة عوامل ذاتية، وخبرات قرائية متشابكة فحسب، وانما هو تعبير عن موقف فكري واضح للمؤرخ، فهو اذ يختار عملاً للكشف عن مكنوناته، انما يرشحه للتفاعل معنا، يرشحه للاندماج بالبنى الثقافية والاجتماعية ملماً بقضية التاريخ، واتجاهاته الاساسية، مما يساعد الباحث على الخروج من النص بموقف وفكرة، ان لم يحفزه للعودة اليه، او في الأقل، وفر له معرفة به، على النقيض من الكتابات التاريخية التقليدية، السهلة، التي تنقض على العمل بأحكام جاهزة ورتيبة، خالية من الابداع والجهد والتفكير، ودونما حيثيات وأدوات كشف.

ان أية محاولة لتقديم الجدوى المعرفية لملف جواد علي لابد لها من التوقف لإثبات انتمائه الى المدرسة التي تتعامل مع ممارسة المعرفة التاريخية كضرورة في تطوير الوعي التاريخي، وتطويعه لغايات تتعلق بالحقيقة والموضوعية. مع وجوب التنبيه الى ان هذا الانتماء، يبتعد كلياً عن الدخول في خانق الانتماء السياسي او الايديولوجي الضيق الأفق. لأنه يعطينا زاداً فكرياً وافياً، مبنياً على قاعدة متينة للانطلاق الى عوالم اوسع خارج الأطر، والتحصينات والوصفات الجاهزة في فهم التاريخ، والتعامل مع الاحداث بخبرة فنية ومعرفة بالتفاعل.

من الممكن ان نعثر في كتابات جواد علي، على هذا التعاقب للحوادث التاريخية المنفصلة او المترابطة، محددة بنظام او اتجاه، ومن السهل كذلك ان نكتشف او نشير الى ان حياة البشرية أظهرت ان الحياة الاجتماعية تعمل بقوانين موضوعية، أي مستقلة وخارج وعينا. تلك قوانين تخضع لها الظواهر الاجتماعية، وبمقدور الانسان معرفتها واستخدامها لصالحه، فالاقتصاد والحقوق والتاريخ والاثنوغرافيا، واللغة والأدب، كل منها يتناول جانباً واحداً في الحياة الاجتماعية، وهي في مجموعها تتناول كل جوانب الحياة الاجتماعية. لكنها بمجموعها لا تعطي صورة كاملة للمجتمع، او التأثير المتبادل بينها. ذلك لأنه الى جانب فعل القوانين الخاصة بتطور تلك الفروع، هناك قوانين عامة وشاملة في تطور المجتمع كلياً. فبدون معرفة هذه القوانين، لا يمكن فهم العلاقات المتبادلة بين ظواهر المجتمع، ومكان هذه الظاهرة او تلك في نظام هذه الوحدة.كل شيء في جواد علي مهيب ورصين، علّم تلامذته كيف يكون المؤرخ شريفاً وطاهراً ونقياً. انه ممثل لهويتنا، لم يعرف في حياته غير الكتابة والبحث، عاش وحيداً في شقة متواضعة في شارع الرشيد. كانت ملاذه في وحدته وتأملاته وانشغاله في الهم التاريخي.لم يفعل شيئاً سوى التاريخ، والتاريخ كما هو الشعر حياة وأمل ووطن، مأخوذاً بالذي حدث، والذي يمكن ان يحدث، لم يكن بحاجة لمن يوجه الانتباه في حياته الوديعة الزاخرة بالعطاء، او كان بحاجة الى ثناء ومشاعر رقيقة. لكنه انطفأ في زاوية النسيان، وسط كل هؤلاء اللاهين عنه.مجداً لجواد علي حيث ولد.

عراقيون من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

جواد علي: حضرت مؤتمراً صحفياً لهتلر واعتقلت وأنا في شهر العسل

هذا الحوار أجراه الصحفي الراحل رشيد الرماحي مع العلامة المرحوم جواد علي قبل اكثر من ثلاثين عاماً ونشر في مجلة الف باء، ملحق (عراقيون) يعيد نشر هذا الحوار المهم الذي يسلط الضوء على بعض تفاصيل حياة جواد علي

يجيب جواد علي وهو يكتم ضحكة كادت تكون عريضة : بالنسبة لخبر النعي .او سرقة الكتاب ..اعتدت عليها مراراً .ولعل السر يعود الى تشابه اسمي مع المرحوم العلامة مصطفى جواد منذ رحيله عام ١٩٦٩. اما كتابي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام وهو اول كتاب من الكتب الحديثة التي نشرت في عشرة مجلدات ضخمة وطبعت اربع مرات ونالت اقبالا واسعا مع ان سعره الآن هو فوق الثلاثين دينارا .. فان القضاء سيبت في الموضوع وهي ليست المرة الاولى التي يطبع فيها دون علمي واذكر ان آخرها انتهت بالصلح بعد ان استمرت الدعوى فية فترة طويلة × هذا يقودنا الى أول كتاب الفته فما اسمه؟

– كان ذلك عندما كنت تلميذا في كلية الإمام الأعظم فوضعت كتابا في التاريخ لطلبة الابتدائية تولى طبعه المرحوم محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية ودفع لي مقابل ذلك ١٢٠ روبية سنة ١٩٢٨.

• وما سر ولعك بالتاريخ؟

– بدءاً كان هواية تملكتني منذ الصغر وكنت احصل على اعلى الدرجات طوال سني دراستي. وما لبثت الهواية ان اصبحت تخصصا فقد سافرت الى ألمانيا سنة ١٩٣٣ لأدرس التاريخ هناك .بعد ان اكملت دار المعلمين العالية التي درسني فيها المرحوم ساطع الحصري . واحمد حسن الزيات ، وطه الهاشمي .وناجي الاصيل وطالب مشتاق .. واخترت جامعة برلين اولا ومنها الى هامبورغ . وقد سنحت لي الفرصة لدراسة تاريخ العرب قبل الاسلام وفروعه باللغات القديمة واللهجات العربية القديمة إضافة الى التاريخ والفلسفة.

العرب بلغات العالم

• وماعلاقة هذة اللغات بتاريخ العرب؟ – هذة اللغات اذا لم تتقن جيدا فلا يستطيع احد في رأيي الكتابة عن تاريخ العرب قبل الاسلام .لان معظم الكتابات القديمة كالسريانية والعبرية بل حتى اليونانية واللاتينية فيها اشارات واضحة الى العرب وتاريخهم . واذا كنا نجهل المصادر يصبح من العسير علينا الكتابة خصوصا ان هذه المصادر كلها مكتوبة بهذة اللغات.

ويستعيد العلامة جواد ذكريات دراسته في المانيا فيقول: حين رشحت لدراسة التاريخ اخترت جامعة هامبورغ برغم بعدها عن العاصمة برلين بعد ان عرفت هناك الاستاذ مايسنر وهو اكبر عالم بالآشوريات والاستاذ منوخ وغيرهما قد ابعدوا من جامعة برلين لانهم كانو ضد هتلر ووجدت في جامعة هامبورغ كل ما أرغب فيه وقد اصبحت صحفيا اثناء دراستي راسلت صحف الزمان والبلاد والأخبار وكتبت الشيء الكثير عن مشاهداتي ولقاءاتي بالعديد من الادباء والمستشرقين الالمان وسنحت لي الفرصة ان احضر ايضا احد المؤتمرات الصحفية لهتلر باعتباري مراسلا لصحف عراقية . وعندما انهيت دراستي كان موضوع أطروحتي عن أبرهة الحبشي الذي حكم اليمن والذي سار الى مكة ليحاول تهديمها يوم ولادة الرسول الاعظم وقد حصلت على درجة الامتياز.

اعتقلت في شهر العسل

• ومتى عدت الى بغداد؟

– بعد الحرب العالمية الثانية بشهرين عينت مدرسا في الثانوية المركزية وبعد ثورة مايس ١٩٤١ اعتقلت بتهمة النازية ولتطوعي في مقاتلة الانكليز بجهة شط العرب في القرنة وسافرت الى الفاو لأجد هناك عبد الواحد سكر وفايق السامرائي وخليل كنة وعبد القادر صالح وكمال الدين الطائي وعبد الرزاق الحسني وغيرهم. وكانت فترة الاعتقال حلوة برغم انني كنت عريساً وفي فترة شهر العسل اذ لم يمض على زواجي نحو شهرين..

×قلت له ماذا تعمل الآن ؟ أجاب:

– في مجال تخصصي طبعا اعمل في أعداد قاموس اللهجات العربية قبل الاسلام الواردة في الكتابات العربية القديمة وهو موضوع اطرقه اول مرة وكنت عندما أقرأ الكتابات اسجل واضع منها معجماً على الطريقة الغربية التي تعتمد الحروف وهذا القاموس سيكون مصدر فخر للعراق والامة العربية لانه سيعلم الناس القراءة والثقافة العربية القديمة من خلال وقوفهم على المصطلحات الحضارية المذكورة فيه وسيغير الآراء التي كانت سائدة عن جهل العرب قبل الاسلام ولعل اهميته تكمن في انه سيقدم لطلاب التاريخ مايعينهم على قراءة الكتابات مثلما سيوفر للعلماء مادة جاهزة تقودهم الى الحالة الدينية قبل الاسلام.

اسماء الآلة والمعابد والبخور والطقوس الدينية وحتى ممنوعات دخول المعابد مثل الدم كذلك سيجدون فيه مصطلحات فقهية وقانونية ومجالس حكمية محلية . • لكل كاتب نظرية فما نظريتك التي اعتمدتها في كتابة التاريخ ؟

– كتابة التاريخ تعتمد على الوثائق لانها اهم شيء . ولان الوثائق القديمة التي نمتلكها تحتاج الى اعادة النظر بعد ظهور الاخطاء والتشويه فعلى المؤرخ الحصيف المتقن فحص هذه الوثائق وتدقيقها وتحليلها تحليلا كيمياويا لاستخراج عناصرها الاصلية وتبين الزائف منها وتكوين رأيه فلا يقحم اتجاه مذهبه في هذا الذي وصل اجتهاده اليه . • وكيف

للمرة الرابعة يمثل كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) امام القضاءويدخل قفص الاتهام ليتنازع عليه مؤلفه العلامة جواد علي وصاحب احدى المكتبات التي طبعته دون علمه . ومثلما يكون العلامة جواد علي قد نعي سبع مرات في محافل ومؤتمرات علمية عربية وعلى صفحات اشهر المجلات العربية المتخصصة بالادب والتاريخ.

بين الموت والمفصل

قلت للدكتور جواد علي في محاولة لانتزاعه من بين كتبه ومؤلفاته والوثائق التي يبحث عنها بلغات العالم كله داخل شقة متواضعة تحتل الطابق السادس من احدى عمارات بغداد .. انها مصادفة غريبة خبر النعي الجديد ...وسرقة الكتاب للمرة الرابعة ولا اعرف أين يكمن السر !

تقيم ما وضعته من تأليف ودراسات حتى الآن ؟

– عندما اقدم عملا لا أتوخى التقييم بقدر الانتقادات التي تحد من اخطائي التاريخية التي استفيد منها ولا يبهجني المديح لان فلسفتي في البحث هي (ان البحث في العلم يجب ان يكون من اجل العلم ولأجل خدمة الإنسان وتذليل حياته وتطويرها الى الحياة الأفضل)

• لو عدت الى صباك وشبابك ماذا تختار ؟.

– لانصرفت الى التاريخ ودرسته بامعان كما اعمل الآن ولأكون بعد ذلك مكتبة كبيرة فيها اجمع كل ما ظهر عن تاريخنا العربي الأصيل وهذا مالم احققه مع الاسف .

الدكتور علي مجمعيا

ولان الدكتور جواد علي عضو مجامع علمية عدة من بينها العراقي (القاهرة ١٩٥٢) المجمع الملكي الاردني الذي الف حديثا الى جانب عضويته في متحف برلين المعروف في التاريخ ..أما ذكرياته عن المجمع العلمي العراقي فيقول :

– كنت في جملة من وضع اللبنة الاولى للمجمع العلمي العراقي وجاء ذلك اثر عملي سكرتيراً للجنة التاليف والترجمة والنشر التابعة لوزارة المعارف سنة ١٩٤٤ وكان من اعضائها توفيق السويدي ورستم حيدر وشريف عسيران والاب الكرملي والرصافي على ما اذكر ثم اعيد النظر فيها حتى اختمرت فكرة ايجاد مجمع علمي اوكل الى لجنة وضع مشروع قانونه تتألف من المرحوم محمد رضا الشبيبي والعلامة الاثري وانا فوضعنا قانونه على ان يكون مشابها لمجمعي الشام ودمشق واختير الشبيبي رئيسا له واجرنا دار المرحوم عبد الله لطفي في جانب جامع السراي مقرا له ثم انتقلنا الى دار المرحوم ساطع الحصري في شارع الزهاوي ومنها الى بناية بسيطة بنيت على الارض هي بنايته الحالية ولم تكن لميزانيته مايمكن ان نبني مجمعا لذلك كنا نصرف مبلغ الايجار وهو الف وخمسمائة دينار على بناء غرفة في كل سنة للمطبعة . وللمكتبة ولقاعة الادارة والاجتماعات وحصل المجمع على مطبعة مستعملة اشتراها بسبعمئة وخمسين باونا من لندن وهي لاتزال تعمل حتى يومنا هذا راجيا من المجمع العلمي الاحتفاظ بها للذكرى وان لاترمى باعتبار انها قديمة ولا تصلح الى العمل.

– وبعد هذه الجولة في حياة العلامة د. جواد علي هناك محطات لابد من التوقف عندها قليلا .. فإذا كنا في السابق نعتمد على المستشرقين فنقول ان المستشرق الفلاني كما كان يفعل جواد علي نفسه في معظم كتبه اصبحت المعادلة لصالحنا .. فالمستشرقون اليوم اصبحوا يعتمدون على جواد علي كما جاء في احدث الكتب التي صدرت عن اللغات السامية القديمة اخيراً.. كما ان العلامة جواد طرق الشعر عدة مرات ونظم قصائد نساها كما قال لي وفقد مسوداتها لينصرف الى التاريخ... واخيرا ... فالرجل الذي يعيش الآن في بغداد وفي احدى عماراتها الشاهقة والد لبنتين هما (اسيل) ماجستير في الادارة من جامعة ليدز وتعمل الان في المركز العربي للتطوير الاداري و(آمنة) التي تنهي تخصصها بالكيمياء في لندن . اضافة الى علي ابنه البكر المتخصص في البنوك وهو سعيد بهم جميعا بشكل خاص بعقيلته زهرة طاهر محمد عارف التي يعود لها الفضل الاول في إدارة البيت وتوجيه العائلة.

مجلة الف باء ١٩٧٨

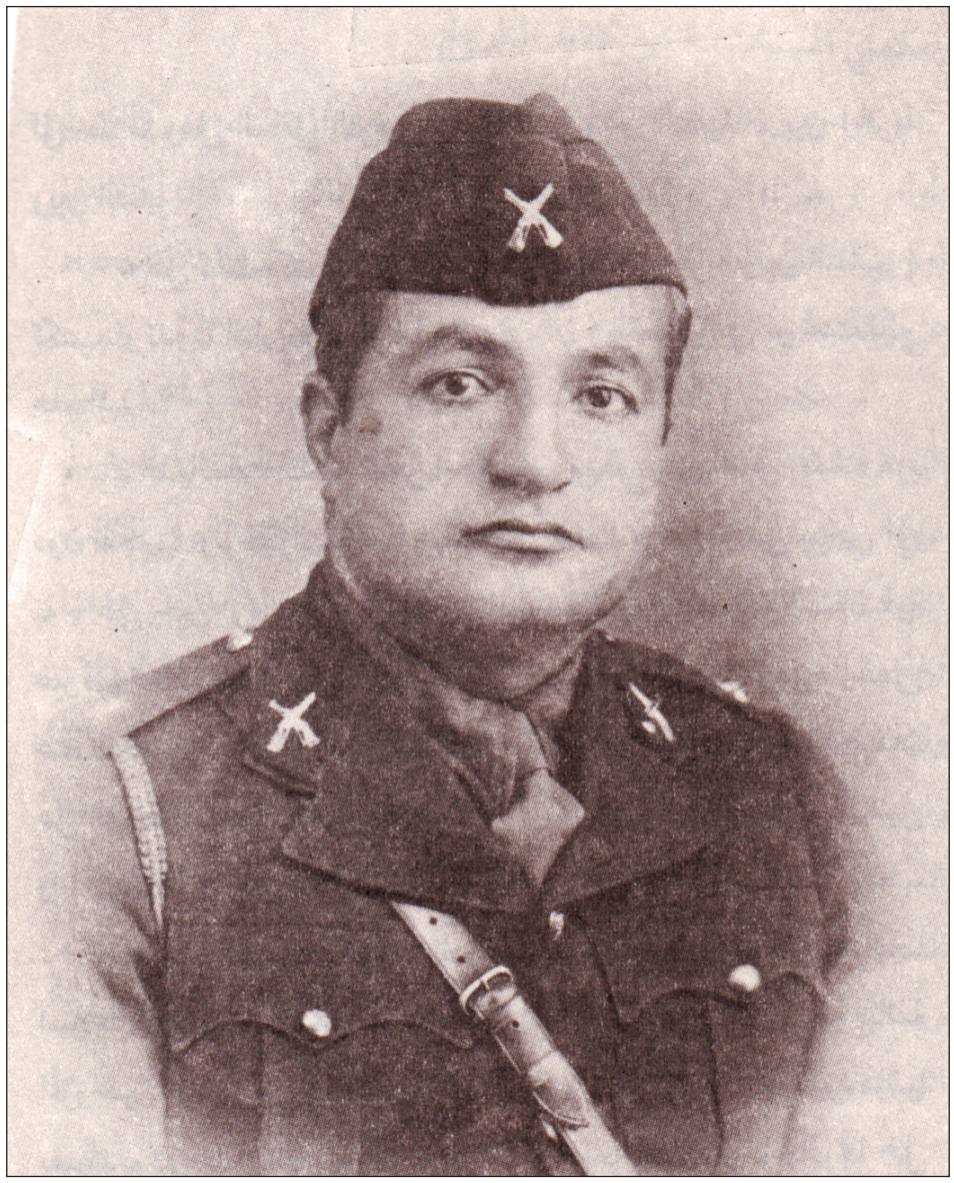

يستعيد العلامة جواد ذكريات دراسته في المانيا فيقول: حين رشحت لدراسة التاريخ اخترت جامعة هامبورغ برغم بعدها عن العاصمة برلين بعد ان عرفت هناك الاستاذ مايسنر وهو اكبر عالم بالآشوريات والاستاذ منوخ وغيرهما قد ابعدوا من جامعة برلين لانهم كانو ضد هتلر ووجدت في جامعة هامبورغ كل ما أرغب فيه وقد اصبحت صحفيا اثناء دراستي راسلت صحف الزمان والبلاد والأخبار

جواد علي مؤرخ عظيم وأستاذ متواضع

ماهر موسى العبيدي

كنت أشاهده غالباً بأناقته المعهودة يسير في الامسيات الجميلة في شارع أبي نواس حتى أبلغني صديقي خريج كلية التربية بأن هذا الشخص هو استاذ التاريخ العربي في جامعة بغداد– كلية التربية– قسم التاريخ، وهو مؤرخ كبير في تاريخ العرب قبل الاسلام خصوصاً، وبعد أن أصبحت قريباً منه بعد سنوات عدة كنت استمتع بالحديث معه في قضايا البلد عموماً والمسائل التاريخية خصوصاً، وكان أكثر ما يعجبني فيه هي آراؤه في الاحداث التاريخية حيث كانت آراؤه علمية موضوعية وليست سردية سطحية كما اتصف به بعض مؤرخي كتب التاريخ .

كان رحمه الله دمث الأخلاق، متواضعاً الى أبعد الحدود شغوفاً بالكتابة والبحث في تاريخ العرب قبل الاسلام وكانت من أهم مؤلفاته في هذا الجانب موسوعته الشهيرة الموسومة بـ(المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام) وقد استمر في بحثه وتأليفه– بعد ذلك– في الكتابة عن تاريخ العرب في العصر الاسلامي وكانت ولادة جل مؤلفاته وما خطّه قلمه وما جال به فكره في البحث والتقصّي، كانت في شقة متواضعة في عمارة (جميل حافظ) تقع في شارع الرشيد، عاش وفضّل البقاء وحيداً فيها.

وقد أعجبني المرحوم الدكتور جواد علي في آرائه التأريخية الموضوعية وآرائه الأخرى ومنها التي لن أنساها رأيه في أسباب هجرة الكفاءات العلمية من بلدنا الذي أجراه في تحقيق صحفي وفيه أشار الى محاور رئيسة في أن أسباب هجرة الكفاءات العراقية، هي أسباب علمية واعتبارية وليست أسبابا مادية بحتة، كون أصحاب الكفاءات قصدوا جامعات أجنبية ذات أساس علمي رصين سبيلاً للبقاء في أجواء علمية واكاديمية عالية المستوى الى جانب توفر الامكانيات اللازمة لاجراء البحوث والدراسة من أجهزة حديثة وكتب ومجلات علمية، وهناك عامل ثان ومهم، هو ان الباحث العلمي العائد من الخارج قد يعود ويجد الجامعات تفتقر إلي ادني المتطلبات الدراسية والامكانيات العلمية التي يحتاج إليها الاكاديمي العراقي، وقد يجد المسؤول عنه لا يفقه شيئاً في علمه أو ادارة منصبه وتعامله مع رعيته فيشد الرحال من حيث اتى، حيث يجد الآفاق الرحبة في تلك البلدان.

وقد مرض الدكتور جواد علي المؤرخ العظيم وطال مرضه ولم تلتفت إليه وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ولا وزارة الثقافة والاعلام ولا المجمع العلمي العراقي الذي كان عضواً فيه، وحصل على هذه الالتفاتة ولكنها كانت متأخرة بعد أن نخر المرض جسده، وبعد أن طلب الرئيس اليمني السيد علي عبد الله صالح من سفيره في العراق استحصال موافقة الحكومة العراقية لنقله إلي أرقي المستشفيات الامريكية على نفقة الحكومة اليمنية وفاءً من الشعب اليمني لأصالة ما كتبه عن تاريخ اليمن فسارعت الحكومة العراقية آنذاك بنقله الى مستشفى ابن البيطار ولم ينفع العلاج فيه شيئاً.

وفي حفل تأبينه المتواضع ألقى الاستاذ الدكتور حسين علي محفوظ كلمة رائعة في رثائه ولكن أهم ما قاله فيها بحق هذا المؤرخ الكبير، ان المؤرخ الطبري سأل النساخين إن كان باستطاعتهم كتابة كتاب كبير فسألوه كم صفحة هو، قال لهم عشرة آلاف صفحة فأجابوه بأن ذلك يفني العمر يا شيخ، وقد أضاف العلامة محفوظ في كلمته، ان المرحوم الدكتور جواد علي كانت في يده ندبة منذ الولادة، وعن هذه الندبة قالت احدى العرافات لوالدته عندما رأتها وهو طفل ان ولدك هذا سيكون كاتباً كبيراً وتحقق ذلك حيث كتب بهذه اليد الكريمة وفي شقته الصغيرة موسوعة كبيرة في تاريخ العرب قبل الاسلام يحتوي على أكثر من أربعين ألف صفحة تعد المرجع الوحيد والاصيل وبهذه السعة في تاريخ العرب قبل الاسلام.

كان رحمه الله متواضعاً مرحاً دائماً، كان الجلوس معه والحديث معه من أمتع السويعات التي ألتقي فيها معه في الاعياد خصوصاً ولم يكن في آرائه متطرفاً أو منحازاً لأية جهة أو طائفة أو دين أو عنصر، كيف يكون ذلك وهو الكاظمي الذي درس الفقه في كلية الامام الاعظم وهو الجعفري وزوجته سنية وهو الذي كان يحب الجميع ويحترمهم والذي كان العراق في قلبه وضميره فأبى مغادرته حتى مات ودفن فيه.

أين جامعة بغداد من تخليد أساتذتها الكبار وأين التكريم الذي يستحقونه وأين يذكر اسمه واسهاماته كما يقتضي الوفاء لهؤلاء العظام وفي مقدمتهم المؤرخ الكبير والاستاذ المتواضع جواد علي رحمه الله، أدعو وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الى الالتفاف لذلك.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

قراءة في منهج د . جواد علي

"اتفق العرب على ألاّ يتفقوا". مثل يقال و نسمعه دائما و ليس بين الحين و الآخر. و نـراه اليوم مثلمـا رآه السابقون، و من يريـد التأكد من ذلك فليراجـع الكتب التاريخية العربيـة و لينظر ما حصل للعرب على مـر التاريخ. و ليست الدول التي تكوّن ما نسميها بخيال ووهم بـ"العالم العربي" أو "الوطن العربي"، فقط، تعطي لنا التأكيد للمثل المذكور، بنزاعاتها المستمرة فيما بينها أو مع جيرانها، بل أن المجموعات التي تشكل كل دولة عربية على حدة نراهـا تتناحر فيما بينها، سواء كانت هذه المجموعات تنتمي إلى مذاهـب أو أديان مختلفة أو تعتقد و تؤمـن بنفس العقيدة و الدين. و مـا نشاهد اليوم على أرض العراق من التصـارع و الاغتيالات بين من سموا أنفسهم بالمسلمين بشكل عام، او ما تسموا بالشيعة أو بالسنة بشكل خاص، يؤكد أيضا ما يريد العرب الاتفاق عليه: عدم الاتفاق. والحقيقة أن السبب الرئيسي لعدم الاتفاق هو أن كل فرد عربي يريد أن يطبـق ما يقولـه المثل العربي: "الامارة حتى و لو كانـت على الحجارة" أو ما يقوله المثل الأسباني: "راس فأر و لا ذيل أسد".

محيي هادي

و قـد كتـب الكاتب العراقي الدكتـور جـواد علي في كتابـه "المفصـل في تاريـخ العرب قبـل الاسلام"، ذي الأجزاء الأربعة، فصلا كاملا عن عقلية العرب قبل الاسـلام. و على الرغم من أن الكاتب حـاول أن يبين هذه العقلية لعرب ما قبـل الاسلام إلا أنني أرى أن هـذه العقلية مـا زالت مستمـرة حتى الآن في أدمغـة العـرب المعاصرين، ما بعـد الاسـلام. و بهذا لا أريـد أن يفهم القـارئ أن هـذه العقليـة توجـد فقط في المسلمـين، بل أنها موجودة في من يعتنقـون ديانات ثانيـة، يعيشون في الـدول العربية. كمـا أؤكد أن الغالبية العظمـى مـن العراقيـين و العـرب الآخريـن و المسلمـين، و علـى الرغـم مـن هجرتهـم الى بلـدان متحضرة، لا يزالـون يحملـون الأفعـال و الافكار التـي انهزمـوا منهـا عندمـا كانوا في بلدانهـم. فلطميات الشيعـة و سرقات المغاربـة تنشـر في مختلـف البلـدان المتحضرة.

لقـد كتـب الكاتـب العراقـي الدكتـور جواد علي أن بعض العلماء والكتاب المحدثـين في العقلية العربيـة تكلموا عنها "بصورة عامة، بدوية وحضرية، جاهلية وإسلامية. فجاء تعميمهم هذا مغلوطـاً وجاءت أحكامهـم في الغالب خاطئـة. وقـد كان عليهـم التمييز بين العرب الجاهليين والعرب الإسلاميين، وبين الأعراب والعرب، والتفريق بين سكان البواطـن، أي بواطن البوادي، وسـكان الأريـاف وسـكان أسيـاف بـلاد الحضارة. ثـم كان عليهم البحث عـن العوامـل والأسباب التـي جعلت العرب من النوعـين: أهل الوبر وأهل الحضـر، تلـك الجبلـة، مـن عوامـل إقليميـة وعوامل طبيعيـة أثرت فيهم، فطبعتهـم بطابـع خاصـ، ميزهـم عن غيرهم من الناس".

و إذا كان جواد علي محقا في أن هناك فرقـا بين هذا و ذاك مـن العرب، إلا أن هـذا الفـرق هو فـرق محلـي خاص و محـدد، أمـا في الخواص العامـة فلا أرى أنـه يوجـد فـرق، و الحاضـر و التاريخ يؤكدان ذلك.

و الرغبة الذاتيـة بأن تتغير السلبيات في المجتمعـات العربيـة هـي رغبـة لا غـير، و أن مـا يـراه الواحد منـا بأنه سلبـي يكـون إيجابيـا عنـد الآخـر. فالسرقـة هي فعل بـذئ و إجرامي في قـرآن المسلمـين إذ تقطـع يـد السارق و السارقـة، أمـا عند عـرب الارياف و البـدو و آخرين من العرب فهو رجولة و بطولـة، و معـروف المثـل العراقي: "الرجـال هـو اللـي يخلـي العنـب بالسلة"، مهمـا كان هذا العنب و مهما كانت الطريقة و السلـة لوضعه، و أن الموت الطبيعي هو فطيسة مخزية، أما الموت مقتـولا في عملية سطو أو غزو شهادة مرضية. و القتل على الشبهة لا يزال فاعلا في المجتمعـات العربية. و عسـى أن يأتي يوم لكـي أستطيع فيه أن أغير هذا الرأي.

و علـى الرغـم مـن أن د. جـواد علـي يحـاول إلقـاء غالبيـة السلبيـات على الأعـراب البـدو، إلا أننـي أرى ذلـك إجحافـا ضـد البـدو لصالـح العـرب الآخريـن فإن عربـي المدينة لـه أفعال أشنع و أفظع من البدوي.

رأي التوراة في العرب

و ذكـر جواد علي ما تقوله التوراة في أوصاف العرب، إذ تقول:

١) إنهـم متنابـذون يغـزو بعضهـم بعضا.

٢) مقاتلـون يقاتلـون غيرهـم كمـا يقاتلـون بعضهـم بعضـاً، فواحدهـم "يده على الكل، ويد الكل عليه".

٣) يغـيرون على القوافـل فيسلبونها ويأخذون أصحابها اسرى، يبيعونهم في أسـواق النخاسـة، أو يسترقونهم فيتخذونهـم خدماً ورقيقاً يقومون بما يؤمرون به من أعمال.

٤) غير ذلك من نعوت وصفات.

ثم يقـول جـواد علـي: "والعـرب في التـوراة، هـم الأعـراب، أي سـكان البـوادي، لذلك فـإنّ النعـوت الواردة فيهـا عنهـم، هـي نعـوت لأعـراب البادية، الذين لم تكـن صلاتهم حسنة بالعبرانيين."

فهـل هـذا صحيـح؟ و لكـن العبوديـة و الاسترقـاق همـا فعـلان لا يقـوم بهمـا الاعـراب فقط، بل همـا لايزالان موجوديـن في الاسلام حتى الآن و لم ينسخ فعلهما القرآن بعد، و لا الانجيل و لا التـوراة. إلا أن المجتمعـات المتحضرة غـير الاسلامية، في الوقت الحاضر، قد أكدت على أن العبودية و الاسترقاق معرضان لملاحقة القانون، علـى العكـس تمامـا مـن المجتمعـات الاسلامية.

رأي اليونان و الرومان

وفي كتـب اليونـان والرومـان والأناجيـل، نعـوت أيضـا نعـت بهـا العـرب وأوصـاف وصفوا بهـا مثلما وصفهم التوراة، فهم:

١) كانـوا يغـيرون علـى حـدود إمبراطوريتي الرومان واليونان.

٢) سلابة، يسلبون القوافل.

٣) يأخـذون الإتـاوات مـن التجـار والمسافريـن وأصحـاب القوافـل للسماح لهم بالمرور.

و ذكـر جـواد علـي أن "ديودورس الصقلي" وصف العرب بأنهم:

١) يعشقـون الحريـة، فيلتحفـون السماء.

٢) اختاروا الإقامة في أرضين لا أنهار فيها ولا عيون ماء، فلا يستطيع العدو المغامر الـذي يريد الإيقاع بهم أن يجد له فيها مأوى.

٣) انهـم لا يزرعون حباً، ولا يغرسون شجراً، ولا يشربون خمراً، ولا يبنون بيوتاً.

٤) الذي يخالف العرف يقتل.

و أعتقـد أن الصقلـي قد أخطـأ عندما قـال أن العـرب لا يشربـون الخمـر، فأشعـار العـرب قبل الاسـلام و بعده تعاكـس رأيـه. و لكنـه محـق في أن العـرب لايزرعـون و لا يغرسـون و لا يبنـون، فهـم كسلـة لا يحبـون العمل بـل يعتمدون اعتمـادا كبيرا على تعب الغير، فهكـذا تراهم اليوم لا يعتمدون إلا علـى ما تنجبه الارض من ثروات كالبـترول، و على مـا تصنعه شعوب أخرى. و في العـراق، مثلا، يُنظر إلى مُزارع الخضراوات نظرة استحقار و ينعتونـه بالـ"الحسـاوي" لان زراعة الخضـراوات هـي زارعـة متعبـة و تحتـاج للعنايـة المستمـرة. و لا أكون مبالغـا إذا قلـت أن العـرب في أسفـل السلـم الحضـاري و سيبقـون إذا استمروا على هذه العقلية، فلا صناعة و لا زراعـة متطـورة و لا علـم و لا هم يحزنون.

ولا يـزال العربـي الصريـح ينظر إلى الحـرَف والمهَـن نظـرة ازدراء، وإلى المشتغـل بهـا نظـره احتقـار وعـدم تقدير.

رأي كسرى في العرب

و كتب جواد علي عن مناظرة، قيل إنها وقعـت بـين "النعمان بن المنـذر" ملك الحـيرة وبين "كسـرى" ملـك الفرس في شـأن العـرب: صفاتهـم وأخلاقهم وعقولهـم، ثـم وصف مناظـرة أخرى جـرت بـين "كسرى" هـذا وبـين وفد أرسله "النعمـان" لمناظرته ومحاجته فيما جـرى الحديـث عليـه سابقاً بين الملكين. ومجمل ما نسب إلى "كسرى" من مآخذ زُعم انـه أخذها على العرب، هو أنه:

١) نظـر فوجـد أن لـكل أمة مـن الأمم ميزة وصفة.

٢) وجـد للروم حظاً في اجتماع الألفة وعظم السلطان وكثرة المدائن ووثيق البنيان.

٣) وأن للـروم دينـاً يبـين حلالهـم وحرامهـم ويـرد سفيههـم ويقيـم جاهلهم.

٤) ورأى للهنـد، نحـواً مـن ذلـك في حكمتهـا وطبّها مع كـثرة أنهار بلادها وثمارهـا، وعجيـب صناعاتها ودقيق حسابها وكثرة عددها.

٥) ووجـد للصـين كـثرة صناعـات أيديهـا وفروسيتهـا وهمتهـا في آلـة الحرب وصناعة الحديد، وان لها ملكاً يجمعها.

٦) و أن للـترك والخـزر، علـى ما بهم مـن سـوء الحـال في المعاش وقلـة الريف والثمار والحصون ملوك تضم قواصيهم وتدبر أمرهم.

أما عن العرب فقال كسرى:

١) لم يـرَ للعـرب دينـا ولا حزمـاً ولا قوة.

٢) همتهـم ضعيفـة بدليـل سكنهم في بواد قفراء.

٣) ورضاهـم بالعيشـ البسيـط، والقوت الشحيح.

٤) يقتلون أولادهم من الفاقة.

٥) ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة.

٦) أفضـل طعامهـم لحوم الإبـل التي يعافهـا كثير من السبـاع لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها.

٧) وإن قـرَى أحدهـم ضيفـاً عدّهـا مكرمـة. وإن أطعـم أكلة عدهـا غنيمة تنطق بذلـك أشعارهـم، وتفتخر بذلك رجالهم.

لقـد أراد يوما أحد زملائـي الاردنيين دعوتي علـى وجبة غذاء فاتخذ جملة: "أريد أن أكرمك".

٨) ثـم إنهـم مـع قلتهـم وفاقتهـم وبؤسـ حالهـم، يفتخـرون بأنفسهم، ويتطاولـون علـى غيرهـم وينزلـون أنفسهم فوق مراتب الناس.

٩) حتى لقـد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعـين، وأبوا الإنقيـاد لرجل واحد منهم يسوسهم ويجمعهم.

١٠) إذا عاهدوا فغير وافين.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (1698)
السنة السابعة
الخميس (14)
كانون الثاني2010

و هـل أفضل مـن المثل المـار ذكره: "الامارة ولو كانت على الحجارة" للتأكيد على هذه النقطة؟

١١) سلاحهـم كلامهم، به يتفننون، وبكلامهم يتلاعبون.

١٢) ليـس لهـم ميـل إلى صنعـة أو عمل ولا فن.

١٣) لا صـبر لهم، إذا حاربوا ووجدوا قوة أمامهم، حاولوا جهدهـم التغلب عليهـا، أمـا إذا وجسوها قـوة منظمة هربوا مشتتين متبعثرين شرائم.

١٤) يخضعـون للغريـب ويهابونـه ويأخـذون برأيـه فيهـم، مـا دام قوياً، ويقبلون بمن ينصبه عليهم.

١٥) ولا يقبلون بحكم واحد منهم، إذا أراد أن يفرض سلطانه عليهم.

رأي هندي عن العرب

ثـم ذُكر جواد علـي أن أحد ملوك الهند كتب كتاباً إلى "عمـر بن عبد العزيز"، جـاء فيـه: "لم تـزل الأمم كلهـا مـن الأعاجـم في كلّ شـق مـن الأرض لها ملوك تجمعها ومدائن تضمها وأحكام تديـن بهـا وفلسفـة تنتجهـا وبدائـع تفتقهـا في الأدوات والصناعات، مثل صنعـة الديبـاج وهـي أبـدع صنعـة، ولعـب الشطـرنج وهي أشـرف لعبة، ورمّانـة القبـّان التـي يـوزن بها رطل واحـد ومائـة رطـل، ومثـل فلسفـة الـروم في ذات الخلـق والقانـون والاصطـرلاب الذي يعدل بـه النجوم ويـدرك بـه الأبعـاد ودوران الأفـلاك وعلـم الكسوف وغـير ذلك مـن الآثار المتقنـة، ولم يكـن للعـرب ملـك يجمع سوادهـا ويضـم قواصيهـا، ويقمـع ظلمها وينهـى سفيهها، ولا كان لها قط نتيجـة في صناعة و لا أثـر في فلسفة إلا ما كان من الشعر. و قد شاركتها في العجـم، وذلك إن للروم أشعارا عجيبة قائمـة الـوزن و العروض فمـا الذي تفتخر به العرب على العجم؟ فإنما هي كالذئاب العادية، و الوحوش النافرة، يأكل بعضها بعضا و يغير بعضها على بعض. فرجالهـا موثوقـون في حَلَق الأسر. و نساؤهـا سبايا مردفات على حقائـب الإبل، فـإذا أدركهـن الصريخ أستنقـذن بالعشـي، و قـد وطئـن كما توطأ الطريق المهيع".

رأي ابن خلدون

ولابن خلدون رأي معروف في العرب، خلاصته:

١) إن العربي متوحش نهّاب سلاّب.

٢) إذا أخضـع مملكـة أسـرع إليهـا الخراب.

٣) يصعب انقياده لرئيس.

٤) لا يجيـد صناعـة ولا يحسـن علماً ولا عنده استعداد للإجادة فيهما.

٥) سليـم الطبـاع، مستعـد للخـير شجاع.

أظـن أن في هـذه النقطة وجود تعبير دبلوماسي لابن خلدون!

وتجـد آراء ابـن خلدون هـذه مدوّنة في مقدمتـه الشهـيرة لكتابه العام في التاريخ.

راي المستشرقين

وقـد رمى بعض المستشرقـين العرب بالماديـة وبصفات أخـرى، هكذا كتب جـواد علـي، فقـال "أوليـري": " إن العربـي الذي يعـد مثـلاً أو نموذجاً، ماديّ، ينظـر إلى الأشياء نظرة مادية وضيعـة، ولا يقومهـا إلا بحسب ما تنتج من نفع، يتملـك الطمع مشاعره، وليس لديـه مجـال للخيـال ولا للعواطـف، لا يميل كثيراً إلى دين، ولا يكـترث بشـيء إلا بقدر مـا ينتجه من فائدة عملية، يملـؤه الشعور بكرامته الشخصيـة حتى ليثور علـى كل شكل مـن أشـكال السلطـة، وحتـى ليتوقع منـه سيد قبيلته و قائـده في الحروب الحسـد والبغـض والخيانة مـن أول يـوم اختـير للسيـادة عليـه ولـو كان صديقـاً حميما له من قبل، ممن أحسن إليـه كان موضع نقمتـه، لأن الإحسان يثير فيـه شعوراً بالخضـوع وضعف المنزلة وأن عليه واجباً لمن أحسن."

ونقـل جـواد علـي عـن لامانـس "إن العربـي نمـوذج الديمقراطيـة"، ولكنهـا ديمقراطيـة مبالـغ فيهـا إلى حـد بعيـد، وإن ثورته علـى كل سلطة تحـاول أن تحـدد مـن حريتـه، ولـو كانـت في مصلحتـه، هـي السـر الذي يفسر لنا سلسلـة الجرائم والخيانات التـي شغلـت أكبـر جـزء في تأريـخ العرب، وجهل هـذا السر هو الذي قاد الأوروبيين في أيامنا هذه إلى كثير من الأخطاء، وحملهـم كثيراً من الضحايا كان يمكنهم الاستغناء عنها، وصعوبة قيادة العـرب وعدم خضوعهم للسلطة هـي التي تحـول بينهم وبـين سيرهم في سبيـل الحضـارة الغربيـة، ويبلغ حب العربي لحريته مبلغاً كبيراً، حتى إذا حاولـت ان تحدهـا أو تنقـص من أطرافهـا هـاج كأنه وحـش في قفص، وثـار ثـورة جنونيـة لتحطيـم أغلاله والعودة إلى حريته. ولكن العربي من ناحية أخـرى مخلص، مطيـع لتقاليد قبيلته، كريم يـؤدي واجبات الضيافة والمحالفـة في الحـروب كمـا يـؤدي واجبـات الصداقة مخلصـاً في أدائها بحسب ما رسمه العرف."

ويوافق المستشرق "براون" "أولري" في رمـي العـرب بالماديـة المفرطـة. ورماهـم "أولـيري" أيضـا بضعـف الخيال وجمود العواطف.

أمـا "دوزي" فقـد رأى أن بـين العرب اختلافاً في العقلية وفي النفسية، وأن القحطانيين يختلفون في النفسية عن نفسية العدنانيين.

رأي أحمد أمين

وقـد تعرض "أحمد أمـين" في "فجر الاسـلام" للعقليـة العربيـة، بقولـه: "لسنـا نعتقـد تقديـس العـرب، ولا نعبـاً بمثل هذا النوع مـن القول الذي يمجدهم ويصفهم بكل كمال، وينزههم عن كل نقص،... إنما نعتقد أن العرب شعـب ككل الشعوب، لـه ميزاته وفيه عيوبه، وهو خاضع لكل نقد علمي في عقليته ونفسيته وآدابه وتاريخه ككل أمـة أخرى، فالقول الـذي يمثله الرأي الخاص لا يستحـق مناقشة ولا جدلا، كذلـك يخطـىء الشعوبيـة أصحـاب القـول الأول الذين كانـوا يطلبون من العرب فلسفة كفلسفة اليونان، وقانوناً كقانـون الرومـان، أو أن يمهـروا في الصناعـات كصناعـة الديبـاج، أو في المخترعـات كالاصطرلاب، فإنه إن كان يقارن هذه الأمم بالعرب في جاهليتها كانـت مقارنـة خطـأ، لأن المقارنة إنما تصـح بـين أمم في طـور واحـد مـن الحضارة، لا بين أمـة متبدية وأخرى متحضرة، ومثل هذه المقارنة كمقارنة بين عقل في طفولته وعقل في كهولته، كل أمـة من هذه الأمم كالفرس والروم مرت بدور بداوة لم يكن لها فيه فلسفة ولا مخترعات".

و أعتقـد أنـه كان علـى الدكتـور علي جواد إعطاء مقارنة:

× بـين الطفـل العربـي و الطفـل المتحضر،

× بـين الكهـل العربـي و بـين الكهـل المتحضر،

× بـين المـرأة العربيـة و بـين المـرأة المتحضرة

× إعطاء احصائيات عن أرقام الاميين العرب و الاميين "المتحضرين".

× بـين أغنـى دولة عربيـة و أفقر دولة متحضرة.

× و هكـذا، ليتبـين لنـا الخـط الاسود العربـي الجاهـل مـن الخـط الأبيض المتحضر.

نقل جواد علي عن لامانس "إن العربي نموذج الديمقراطية"، ولكنها ديمقراطية مبالغ فيها إلى حد بعيد، وإن ثورته على كل سلطة تحاول أن تحدد من حريته، ولو كانت في مصلحته، هي السر الذي يفسر لنا سلسلة الجرائم والخيانات التي شغلت أكبر جزء في تأريخ العرب

إنفعالية العربي

ثـم كتـب أحمد أمـين فوصـف العربي الجاهلـي، (و علـى نهجـه يسـير الاسلامي أيضا) بأنه "عصبي المزاج، سريع الغضـب، يهيج للشـيء التافه، ثـم لا يقـف في هياجـه عند حـد، وهو أشـد هياجـاً إذا جرحـت كرامتـه، أو انتهكـت حرمـة قبيلتـه. وإذا اهتـاج، أسـرع إلى السيـف، واحتكـم إليـه، حتـى أفنتهم الحـروب، وحتى صارت الحـرب نظامهـم المألـوف وحياتهـم اليومية المعتـادة." "والمزاج العصبي يستتبـع عـادة ذكاء)!!(، وفي الحـق أن العربـي ذكي (جـدا!)، يظهر ذكاؤه في لغتـه، فكثيراً ما يعتمد على اللمحة الدالة والإشارة البعيدة، كما يظهر في حضـور بديهته، فمـا هـو إلا أن يُفْجَأ بالأمر فيفجؤك بحسن الجواب، ولكن ليـس ذكاؤه من النوع الخالق المبتكر، فهو يقلـب المعنى الواحد علـى أشكال متعـددة (متقلبـة !!)، فيبهـرك تفننـه في القـول أكـثر ممـا يبهـرك ابتكاره للمعنـى، وان شئـت فقـل إن لسانـه أمهر من عقلـه." "خياله محدود وغير متنـوع، فقلمـا يرسم له خيالـه عيشة خـيراً مـن عيشتـه، وحياة خـيراً من حياتـه يسعى وراءهـا، لذلك لم يعرف "المثـل الأعلـى"، لأنـه وليـد الخيال، ولم يضع له في لغته لفظة واحدة دالة عليـه، ولم يشـر إليـه فيمـا نعرف من قوله، وقلمـا يسبح خياله الشعري في عالم جديـد يستقي منـه معنى جديداً ولكنـه في دائرتـه الضيقـة استطـاعَ أن يذهـب كل مذهـب." "أمـا ناحيته الخلقية، فميل إلى حرية قلّ أن يحدّها حدّ، ولكن الذي فهموه من الحرية هي الحرية الشخصية لا الإجتماعية، فهم لا يدينـون بالطاعة لرئيس ولا حاكم، تأريخهـم في الجاهليـة – حتـى وفي الإسـلام – سلسلـة حـروب داخليـة" وعهـد عمر بـن الخطـاب كان عصرهم الذهبـي، لأنـه شغلهـم عـن حروبهـم الداخلية بحروب خارجية".

"والعربـي يحـب المسـاواة، ولكنهـا مسـاواة في حـدود القبيلـة، وهو مع حبـه للمساواة كبير الاعتـداد بقبيلته ثـم بجنسـه، يشعـر في أعمـاق نفسه بأنـه مـن دم ممتـاز، (كاليهـودي مـن شعب الله المختار!!!)، لم يؤمن بعظمة الفرس والـروم مـع مـا له ولهـم من جـدب وخصب وفقـر وغنـى وبداوة وحضـارة، حتى إذا فتـح بلادهم نظر إليهم نظرة السيد إلى المسود"..

و عندمـا "يمرض أحدهـم ويتألم من مرضـه، فيصفـون لـه علاجـاً، فيفهـم نوعـاً مـا مـن الارتبـاط بـين الـدواء والـداء، ولكـن لا يفهمـه فهـم العقـل الدقيق الـذي يتفلسف، يفهـم إن عادة القبيلـة أن تتناول هذا الدواء عند هذا الـداء، وهذا كل شـيء في نظره، لهذا لا يـرى عقله بأساً مـن أن يعتقد إن دم الرئيـس يشفي من الكَلَب، أو ان سبب المرض روح شرير حل فيه فيداويه بما يطـرد هـذه الأرواح، أو انـه إذا خيف علـى الرجل الجنون نجسـوه بتعليق الأقـذار وعظـام الموتـى إلى كثـير من أمثـال ذلك، ولا يستنكـر شيئاً من ذلك مـا دامـت القبيلـة تفعلـه، لأن منشـأ الإستنـكار دقـة النظـر والقـدرة على بحـث المرض و أسبابـه وعوارضه، وما يزيل هذه العوارض، وهذه درجة لا يصل إليها العقل في طوره الأول".

النظرة السطحية للعرب

و كتـب أحمـد أمـين و قـد تحـدث عن مظهر آخر من مظاهر العقلية العربية، لاحظه بعض المستشرقين و وافقهم هو عليه، هو: "إن طبيعة العقل العربي لا تنظر إلى الاشياء نظـرة عامة شاملة، وليـس في استطاعتها ذلـك. فالعربي لم ينظـر إلى العلم نظـرة عامة شاملة كمـا فعل اليونـاني، كان يطـوف فيما حولـه، فإذا رأى منظـرا خاصا أعجبه تحـرك له، و جاس بالبيـت أو الأبيات من الشعـر أو الحكمـة أو المثل. "فأما نظـرة شاملـة وتحليـل دقيـق لأسسه وعوارضـه فذلـك مـا لا يتفـق والعقل العربـي. وفوق هـذا هـو إذا نظر إلى الشـيء الواحد لا يستغرقه بفكره، بل يقـف فيه على مواطـن خاصة تستثير عجبـه، فهـو إذا وقف أمـام شجرة، لا ينظـر إليها ككل، إنمـا يستوقف نظره شـيء خاص فيها، كاستـواء ساقها أو جمال أغصانها، و إذا كان أمام بستان، لا يحيطه بنظره، و لا يلتقطه ذهنه كما تلتقطـه "الفوتوغرافيـا"، إنمـا يكون كالنحلـة، يطـير من زهـرة إلى زهرة، فيرتشف من كل رشفة".

إن كلمـات أحمـد أمـين تذكـرني بمـا يفعلـه اللصوص ببساتـين الأرياف، فهـم ينتقلـون مـن شجـرة إلى أخرى يقطفون ثمارها ليسرقوها و يبيعوها في الأسواق.

جواد علي . . تاريخ بعقل علمي

شخصية علمية جادّة ودؤوبة

من يتتبع الشخصية العلمية للدكتور جواد علي سيجد أن الرجل باحث عالم جاد في بحوثه وعلمه على الرغم من قلة إنجازاته العلمية المتنوعة، ولا شك أن العبرة بالنوعية لا بالكمية.

أبصر الدكتور جواد علي النور في مدينة الكاظمية التابعة لمدينة بغداد العاصمة سنة١٩٠٧م. وأخذ دروساً في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في كلية الامام الأعظم.

بعد ذلك أكمل دراسته في دار المعلمين العالية، وبعد تخرجه في هذه الكلية دخل مرحلة دراسية جديدة، مرحلة الدراسات العليا في الخارج.

لقد ذهب إلى المانيا ليلتحق بجامعة (هامبورغ) لغرض الحصول على شهادة الدكتوراه العالية. وبعد إنهائه الدراسة منحته الجامعة درجة (شهادة) الدكتوراه عن اطروحته الموسومة (المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية) وذلك في سنة ١٩٣٨م.

عاد إلى العراق استاذاً جامعياً وفي سنة ١٩٤٢ تعرّض الدكتور جواد علي للاعتقال لاسباب سياسية.

عين سكرتيراً للجنة التأليف والترجمة والنشر في وزارة المعارف العراقية، تلك اللجنة التي أصبحت القاعدة الاساسية التي قام عليها المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٤٧م، ثم أصبح عضواً فيه وسكرتيراً له.

مارس التدريس في عدد من المعاهد والجامعات العراقية والاجنبية. منح وساماً لبنانياً عالياً تقديراً لادارته جلسات المؤتمر الثقافي العربي الذي عقد في (بيت مري) في الاربعينيات من القرن العشرين.

وعين ايضاً عضواً عاملاً أو مراسلاً في عدد من المجامع العلمية العربية والدولية.

منحته جامعة بغداد درجة (أستاذ متمرس) لمكانته العلمية المرموقة.

وهو أعلى لقب علمي يمنح لباحث عراقي.

توفي جواد علي في بغداد سنة ١٩٨٧م عن عمر بلغ ٨٠ سنة.

إذن كان الدكتور جواد علي كبيراً، كبيراً في علمه وكبيراً في المسؤوليات التي كانت على عاتقه، كبيراً في مناصبه ومهامه ومكانته، لكنه في الوقت نفسه كان متواضعاً علمياً وبحثياً، يدرك تماماً أن الإنسان مهما جدّ واجتهد فهو «نقطة من بحر لا ساحل له» على حد تعبيره يقول:«فأنا رجل اعتقد أن الانسان مهما حاول أن يتعلم، فإنه يبقى إلى خاتمة حياته جاهلاً كل ما يصل إليه من العلم، هو نقطة من بحر لا ساحل له. ثم اني مازلت أشعر أني طالب علم، كلما ظننت أني انتهيت من موضوع، وفرحت بانتهائي منه، ادرك بعد قليل ان هناك علماً كثيراً فاتني، وموارد جمة لم أتمكن من الظفر بها..»(٢)، إن ما ذكره هو تواضع العلماء.

مؤلفات الدكتور جواد علي

لم يكن الدكتور جواد علي مؤلفاً مُكثراً في انتاجه ومنوّعاً لعناوين مؤلفاته، وإنما كان مقلاً، لكن بعض مؤلفاته، وهو (المفصل... مثلاً) يعدل عدداً هائلاً من الكتب والعناوين، ففيه جمع المؤلف كل ما توافر عن موضوع بحثه ومادته ما يتضمن عشرات العناوين والموضوعات ضمن الاختصاص التاريخي الذي لم يَحد عنه أبداً.

لقد كان جواد علي غزيراً في انتاجه على هذه الطريقة، وقوياً متيناً على مستوى تخصصه، يضع في مؤلفاته روحه وعقله وقلبه، وفي الوقت نفسه لم يخرج عن تخصصه والمنهج العلمي التاريخي الذي التزمه في الكتابة والبحث؛ ولنذكر الآن ما انتج الدكتور جواد علي من المؤلفات المنشورة:

١. أصنام العرب، نشر في مدينة بغداد سنة ١٩٦٧م.

٢. تاريخ الصلاة في الإسلام، نشر في مدينة بغداد سنة ١٩٦٨م أيضاً؟

٣. تاريخ العرب في الإسلام: (السيرة النبوية) نشر في بغداد سنة ١٩٦١م ونشر في دار الحداثة في بيروت أيضاً سنة ١٩٨٦م.

٤. تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر في مدينة بغداد في ثمانية أجزاء سنة ١٩٥١م.

٥. صورة الأرض [خارطة العالم للادريسي] نشر في بغداد سنة ١٩٥١م.

٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، صدرت الطبعة الأولى في بيروت، عن دار العلم للملايين بين سنة ١٩٦٨، وسنة ١٩٧٤م. ونفدت الطبعة وصورت وطبعت اوفست أكثر من مرة،.

٧. المهدي المنتظر عند الشيعة الأثني عشرية، وهو ترجمة لاطروحته للدكتوراه باللغة الالمانية، ترجمه الدكتور أبو العيد دودو ونشرته منشورات الجمل في كولونيا بألمانيا سنة ٢٠٠٥م.

ومن بحوثه المنشورة يمكن ان نذكر ايضاً:

٨. موارد تاريخ المسعودي.

٩. موارد تاريخ الطبري.

١٠. الشعر الجاهلي ولغة القرآن.

١١- الحمادون.

١٢. معجم الفاظ المسانيد.

١٣. المعجم السبئي بالاشتراك مع الدكتور محمود الغول.

هذه الكتب والابحاث التي وقفت عليها للدكتور جواد علي ولم اعثر على غيرها(٣).

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
التحرير : علي حسين
التصميم : نصير سليم
الاشراف اللغوي : يونس الخطيب